الملائكة تعود إلى العمل

عبد العظيم فنجان

اتخذتُ الحبَّ عوضَ كلِّ شيء ، مكانَ كل مكان ، بدلَ الجوهر ومحلَّ الشر والخير . أخذتُه ، أخذتُ الحبَّ ، وشكاني الذين صاروا في فاقةٍ دوني ، وتعالت جفونُهم الذين حسدوني ، ونهش ضحكهم الهواء الذين تهكّموني ..

أنسي الحاج

أولا -

شعبٌ من الفراشات والبلور

امرأة

وجـودُكِ يُنيرنــي مـن الـداخل ، دون حـاجتي لأن أكـونَ حبيباً أو صديقاً ، أو حتى غريباً .

أنتِ أندرُ من أن تكوني شيئاً ملموساً ..

أجملهن هي أنتِ

ليس وجهك الجامح : سيّد الخيال ، ولا شعركِ الطويل الذي يُثري قامتكِ بالبهاء . ليس فمك الماكر ، مبتكرُ القبل ، ونديم الثمالة ، ولا أصابعكِ التي تحرّك الموسيقى في وتر الغبطة . ليس ساعداك الممتدتان من قعر الحنان ليهشّا قلق العالم ، ولا الابتسامة التي حين ترنُّ ، يرتعشُ خلخالُ الزمن .

لا بريق قلبك ، ولا هديل الحمام في صوتك .
أنتِ امرأة ، امرأة جدا ، امرأة حقا ، كشعب من العطر ينظفُ رئة الهواء .
وأنت ، بدون هذا وبدون ذاك ، أنتِ :

أجملُهن هي أنتِ ..

فراشة

عثرتُ ، في أحد جيوب سترتي الشتائية ، على فراشةٍ ، وتذكرتُكِ ..

جمالُكِ

لا أجِدُ ، في الشِعر، إلا الحدودَ الواهيةَ ، تلك الحدودُ المتداخلةُ كخطوط راحة اليد ، بين أنتِ و جَمالكِ ، وها أني أعطّر شِعري باسمِكِ ، الذي لا يُنطق ، لأنعشَه بالحنين إلى البراءة ، وإلى الطفولة .

هناك عِيدٌ كثير في شموس ابتسامتكِ .
هناك شِجارُ عصافيرٍ في بحّة صوتكِ ، وأنت تغنّين ، يحوّلُ الصباحَ إلى حقلِ سنابل .

كيف يمكن فصلُ جَمالكِ عن وهمِ جَمالكِ ؟!

صنّارة الكتابة

وسطَ هذا الخراب العاصف ، الذي يجتاحُ بلداً بأكمله ، أنتِ الجوهرةُ ، التي يفورُ لمعانُ جمالِها بين سطور كل جُملة ، ليجعل الأملَ عالقاً في صنارة الكتابة ، مثلَ سمكة !

دموعُكِ ملحُ الأرض ، وابتسامتكِ أعيادٌ تهطلُ ، على هامةِ الغريب ، بغزارةٍ .

غيابُكِ حنون ، كالمطر الناعم ، من خلف زجاج نوافذ الشتاء ، وحضوركِ حميم ، كعصفور يتفقّد الزقزقات المنسيةَ ، بين أعواد سريره ..

ثقل العالم

أحتـاجُ أن تكتبـي :" أحبـكَ " ، رغـم أن ذلـك لا يقـدّم أو يؤخر شيئاً من حقيقة أننا خاسران ، فلسنا حرّين لنتعـانق ، ولو خلسةً عن الحب نفسه .

أحتاجُ أن نلتصقَ ، أن نتناغم كالموسيقى ، وأن نمتزجَ ، كمـا تمتـزجُ قبلـةٌ بقبلـة ، كـي يتعطّـل المـوتُ ، يتوقـفَ الزمنُ ، وتولدَ الحياة .

أحتاجُ :" أحبكَ " الآن ، لأشعرَ أنكِ مـا زلـتِ تشـاركينني كلَّ ثقل العالم .

الغزالة

يُثيرني الحنينُ حدَّ البكاء ، وارتعش من فرط حضوركِ في هذه الذكرى الصافية ، التي تأتي ، كلَّ مرة ، بتفاصيل مبتكرة ، لم أعشْها من قبل ، لكنها تتجسد بكل وضوح حين يمرُّ القلمُ على الورقة ، ويكتبُ ما عجزتُ عنه ، لتولد هذه القصيدةُ ، وحدَها ، دون إرادتي :

كنتِ الغزالة العمياءَ ، في الوقت الذي كنتُ فيه النبعَ ، وما حصل بعد ذلك ، هو أن دمكِ لطّخ بدلة المياه بصرخة الأسى ، و الإطلاقةُ التي جرحتكِ ، ذبحتني ..

فراشة بعد فراشة

ألفُّ سياجاً من الورد حولَ خصركِ ، وأطوفُ برأسي المقطوعِ حولَه ، ثم أنحني لألملمَ القُبَل التي لم نرتكبها ، والتي نضجتْ ، تحت شمسِ الشوق ، فطارت من على شفاهنا ، مع الغبار ، فراشةً بعد فراشة ..

ضعفكِ الهائل

على كتفيكِ الهزيلتين تحملين ثقلَ العالم ، وتبتسمين ابتسامةً تُخرج القسوةَ عن طورها ، فتنحني لفتوة القلب ، الذي يحفّزُ أرضَ روحكِ على الاخضرار .

تقودين النبع إلى الغزالة ، الرحيقَ إلى الوردة ، ثم تمشين ، متبخترة ، بضعفكِ الهائل ..

الشِعرُ بأنقى أشكاله

كنتُ أفكرُ فيكِ ، وأنا أقرأ رسالتكِ المتلعثمةَ باللهفة ، بالشغف وبرحيق الاشتياق ، وحين انتهيتُ منها حدثتْ المعجزةُ ، وتجلى الشِعرُ بأنقى أشكاله عندما ، وحدَها ، رفرفتْ بجناحيها وطارتْ ، الفراشةُ المرسومةُ بخط يدكِ ، أسفلَ الورقة ..

روح القمح

عندما جرّب أجدادي رسمَ وجهكِ على الطين ، شعّتْ المعرفةُ في باطنهم ، رفرفتْ الحريةُ بأجنحتها الألف ، فابتكروا الكتابة .

عندما كتبتُ اسمكِ هبطَ عصفورٌ .
وعندما مزّقتُ الورقة طار ، حاملاً بمنقاره حزمةَ سنابل ، هي اسمُكِ ، يا روحَ لقمح ، يا بدن الرغبة ، يا حاملة الريح والمشاعل ..

المطاردة السحرية

كنتُ أنظرُ ، من وراء ظهركِ ، إلى الورقة ، ورقتكِ ، فأنجحُ في الامتحان ، وتفشلين ، كما إنني كنتُ الولدَ الطائشَ الوقح الذي ، في ظهائرِ تموزَ ، يضغط زرَّ الجرس ويهرب ، لا لشيء ، إلا من أجل أن تبدأ تلك المطاردةُ السحريةُ في الأزقة ، حيث أبوكِ يلعن ، شاتماً أسلافي ، وأسلاف الذين خرجتُ من صلبهم :

تضحكين ، أفرحُ لأنكِ تضحكين ، وأنا أُمسكُ أطرافَ ثوبي بأسناني وأركضُ ، في سباق سيُبقيني طفلاً إلى آخر دقيقة ، أعيشها في الحياة .

قصيدة النبلة

أنا الذي ، خلسةً ، سرقتُ قلمَكِ ، عسى أن ترفعي رأسكِ لترَيني أرسمُ قلباً تخترقه نبلةٌ ، لكنكِ استعنتِ بقلم آخر ، من المحفظة ، وابتسمتِ بغموضٍ ، دون أن ترفعي رأسكِ ، ودون أن تنظري إلى قلبي الذي مازال ، لحد الآن ، يجاهد كي ينتزع النبلةَ ..

القشة

أحبكِ بصمت ، بصمت بالغ الاخضرار ، بنبرةٍ مشوبة بالقلق ، وبقلبٍ واثق من انكساره ، وأخافُ .

أنتِ القشّة ، وأنا الطوفانُ ، أنهارُ مرعوباً ، أمامَ لمعان القوة ، التي تشعّ من تاج ضعفكِ العظيم .
أخافُ عليكِ من خواطري التي تُحبكِ ، من خرافاتي أخافُ عليكِ ، ومن قصائدي .

أنا المضطربُ الحنونُ ، الذي تمنيتُ أن أهزّ لكِ سريرَ الطمأنينة بأنفاسي .
أنا دفترُكِ السريُّ الحميمُ ، الذي امتلأتْ صفحاتُه بفراشاتِك وقبلاتي .
وأنا الذي ،
حين جرحتُكِ ، تدفقتْ ، من عينيّ ، دموعُكِ ..

عزلة الجوهرة

أحـبّ ضـفيرتكِ التـي تقـول مـا لا تقولينـه ، وأُنصـتُ لإيمـاءاتِ أصـابعِكِ المتقنـةَ الجمـال ، التـي ضـفرتْ هـذا الجدولَ من الحنان .

أحـبَ سـماءَ جبهتـكِ ، وتقطيبـةَ القلـق التـي تبتكرينهـا مكتظةً بالغيوم ، عندما أغيبُ .

أحبّ فمكِ الذي يخلق أطواراً من الدهشة ، وهو يعيد نحتَ جسدي ، قبلةً بعد قبلة ، كلما بعثره الاشتياقُ ..

أحبّ قبلتكِ المترعةَ بالرحيق ، تلك التي طبعتِ معها فمَكِ ، في آخرِ مرة .

وأحبني ضائعاً في بياضِكِ الخرافي ، بياضُك الناصعُ ، الذي أحاط حياتي بعزلة الجوهرة ، وصقلَ هواجسي إلى الأبد .

قصيدة الإثم

كنتُ أنظرُ ، خلسةً ، إلى طيف جسدكِ من خلف النافذة ، وكانت تلك عادتي التي لا يمكن تفاديها ، رغم أنني ما كنت أعرف ماذا وراءَ ذلك ، إذ لم أتعرّفْ على جسدي بعدُ ، لكنَّ هناك عاصفةً من العطر توقظني ، كلما أفاق العسلُ من غفوته ، في سريركِ ، كلما ارتفعتْ درجةُ حرارة الهيام ، وكلما اختلط الأسى بالغناء ، الذي يُعلن انتشاءَ الصباح بصوتك.

كنتُ أنظرُ إليكِ ، في ذلك الصباح العتيق ، وأنتِ تخلعين عن الليل بدلته المرصعةَ بالتنهدات وبالنعاس ، عندما كبُرتُ دفعةً واحدة :
تبرعم الإثمُ ،
فجأة ،
تحت الثياب ، واخضّرتْ الشجرةُ ..

النداء العميق

أتأمَّلُ في اضطرابكِ الغامضِ ، الذي يعتري أعمقَ أعماقِ دخيلتكِ ، وأنتِ تخلعين عنكِ جلبابَ الترددِ ، ثم تتبعين النداءَ العميق لأنواركِ : تمشين إلى أين ما تقودكِ الشعلةُ في النار ، فتدخلين لعبةَ الطيران فوق الجسد ، التي تكسر الأقفالَ ، تفرك الصدأَ عن المفاتيح ، وتقرر المصائرَ ، بروحٍ لا تأبه بالفوز أو بالخسارة ، فما أنتِ واثقةٌ منه : أنَّ الحبَ يحتاج قلباً ضالعاً في الذنب ، لفرط اللؤلؤ ، وهو يختلط بلمعان سريرتكِ .

هذا ـ وحده ـ يبقيكِ على أهبّة العيش في سلامٍ يشوبه الاشتعالُ ، على متن الريشة ، التي تعرفُ عند أيِّ طير يرفرفُ الجناحُ الوسيمُ ، ومثل سنبلة تنبتين عليه ، غيرَ عابئة بشيء سوى بعاصفتِكِ الداخلية ، التي تُربك ـ في هبوبها ـ أعتى الرياح ، وتربك ـ بإعصارها ـ أشدَّ العواصف ..

على قيد الحب

أخوضُ في نار المشقة ، التي تبعثني ، مثلَ شرارة ، نحو قش قلبك المتأهب للاشتعال ، فلا تأخذي أمرَ قصائدي ، التي تقول عكس ذلك ،على محمل الجَّد ، لأن الأشواق أكثرُ اتقاداً من غطرسة الضغائن في كل حب ، فأنتِ الوحيدةُ ، التي ترنّ أصداءُ حبها في الروح ، فترتعش الأجراسُ في القلب ، وأنتِ المرأة التي أسكبُ ، في حوض راحتيها ، ضحكاتي ودموعي ، بل أنتِ الأصلُ والأمانُ ، الينبوعُ والشلال والمصب ، في بلاد تعصف بها الصحراء ، ويقضمُ الجرادُ سنابلَ حقولها بأسنان روّاد الجحيم ..

أحبكِ ،
لأتخفّفَ من ثقل هؤلاء ، لأنكِ البريقُ المضيءُ في سمائي ، الذي يبعث إحساساً بالطيران وبالحرية ، فأنتِ مَن يُشعرني أنني لم أُمسَخْ بعدُ ، وأنني مازلتُ ، على قيد الحب ، إنساناً !

ثقوب النايات

لا أحبكِ ، لئلا أخرّبَ هدوءَكِ ، لئلا أهزّ لكِ سريرَ العاصفة ، ولئلا أهدمَكِ وأبنيكِ ، لتكوني لي كتِفَين .

قلتُ : لا أحبكِ ، وأعني أنني أعرفُ قسمتي من الفقدان ، ونصيبي من الخيبة .
لا أحبكِ ، وأعني : أنني أتمزقُ ، مثلَ أرض يضربها زلزالٌ ، عندما أشتاق ..
لا أحبكِ ، وأعني عكسَ هذا ، ضدَّ ذاك ، وقبلَ الحب و ما بعدَه .

قلتُ : لا أحبكِ ، وطفرتُ ، مثلَ دمعة كبيرة ، من بين ثقوب النايات في نحيبكِ .

حسرات وبلور

أنتِ حمامةُ الطوفان التي ، من هديلها ، وُلِدتْ اليابسةُ ، ومن رفيف أجنحتها تَكوّن النسيمُ ، وعثر الهواءُ على رئتيه ، كما إنكِ اليدُ التي أشاعت النورَ في داخلي : أنا الحجرُ الملقى في طريقكِ ، الذي رفعته يدُ القدرة ، قدرتكِ ، إلى الأعلى ، فصار فريسةَ صعودِه إلى صدركِ ، حتى فتّته الطموحُ ، فتحوّل إلى حسرات وبلور ..

حمى الحب

تحت وطأة حمّى الحب الحارقة ، توهمّتِ أن القمرَ يريدُ أن يراكِ ، فتعرّيتِ أمام المرآة : شعّ من جسدكِ نورٌ : غمرَ المشتاقَ والغريبَ ، وشملَ الليلَ والصباحَ وبساتينَ الطفولة ، والشوارعَ والتظاهرات والمنافي والسجون وحرس الحدود ، ثم فاحت التلويحاتُ من النوافذ ، و دخل العيدُ ، العيدُ الذي لا موعدَ له ، أو هلالَ ، من جميع الأبواب ، و عمّني الشعرُ بابتسامتِه الظافرة ..

حفنة من الزقزقات

رأيتُكِ ، في منامي ، تخلعين قميصَكِ فتهربُ ، من صدركِ ، عصافيرٌ كثيرة . كان جمالُك مرعباً ، وأنتِ تمشين عارية في الغرفة : تفتحين النافذةَ ، ثم تلتحقين بالموكب ، الذي سافر إلى كل مكان ..

كان مناماً عصياً على التفسيرِ ، أو الفهمِ ، فبعد أن استيقظتُ وجدتني متوسّداً قميصَكِ ، وفي راحة يدي حفنةُ من الزقزقات !

أتخذُ شكلَك ، وأشعّكِ ..

أشعرُ أن الهواء بيننا ينفتحُ على هواء آخر ، له مذاقُ النبع ، عندما يفور العطشُ ، في تنور جسدكِ ، ويتوق إلى العناق ، فأضمكِ بحنانٍ ، بثقةِ مَن يعرف أنه امتلكَ ، أخيراً ، سرَّ البقاء على قيد الطيران ، رغم أن أجنحته قد انتُزعتْ منه ، عنوةً ، منذ لحظة الولادة ، فلا تحسبيني يائساً عندما ألعنُ هذا العالمَ ، الذي يأخذكِ ، بعيداً عن الطيران ، إلى قفص التقاليد ، لأنني أكثرُ قوةً من شجرة ، في العراء ، تلعبُ بخواطر العواصف .

حبي ، ليس حباً ، بل هو ما لا اسمَ له ، وهو ليس غراماً أو عشقا ، بالمعنى الدقيق ، فقد يكون ولهاً ، جنوناً ، أو قد يكون حناناً ممطرا ، ساخنا ودافئا ، لم يمرّ به بشرٌ قط ، غايتُه أن يحتلكِ ، يعصفَ بجسدكِ ، ويمزقَني في داخلكِ ، فأتخذ شكلكِ ، وأشعّكِ ..

أحبكِ أكثر مما أحبكِ

أرسمُ عصفورا ، ونحوكِ أطيرُ ، راضياً أن أعيشَ قريبا منكِ ، في قفص . ذلك أقصى ما يمكنني بناؤه من سدود عندما يذوب الصبرُ ، فتنحدر السيولُ بأطيانها ، من منابع دموعكِ ، رغم أنني أشعرُ بالأمان ، يهطلُ مدراراً ، عندما تبتسمين ، بل وأحبكِ أكثرَ مما أستطيع ، أكثر مما أحبكِ ، فأشاركِ الغناءَ ، غناؤكِ ، الذي يصيبني بالأسى وباليقظة معا .

إنني موشكٌ على الطيران وعلى السقوط ، في نفس الوقت :
أنتشي بأنفاسِكِ ، التي ترشُّ الربيعَ على مسام جسدي ، وبنظراتكِ الواثقة ، التي ترسم الابتسامةَ على تقاسيم وجهي ، لكنني سرعانَ ما أنكسرُ أمام حزنكِ الصامت المتأمل ، الذي لا أعرف من أيّةِ جهةٍ ينبثق ، فيجعلني حائرا ، أدور حول نفسي ، أو أجلس في تلك الزاوية الموجعة من الروح ، كمن اضطرّته الحاجةُ إلى الغوص ، عميقاً ، إلى قاع الغرق ، بحثا عن يديه ..

ابتسامتكِ

كنتُ أنتقي القميصَ ، قميصَكِ ، من بين الثياب المنشورة لتجفّ ، ثم أطرق الباب ، زاعماً أن العاصفةَ قد حملته إلى سطح البيت ، وكنتِ تعرفين أن ذلك محضُ هراء ، إذ لا عاصفةَ تجرؤ على أن تعكّر جريَ الخيول المرسومة عليه ، خاصة وأنَّ الجوَّ صحوٌ ، فتضحكين ، تَغرقين بالضحك ، وتنشرين ، على حبل حياتي ، ابتسامة نديّـةً مسبوكةً بحرير صوتكِ .

آه ، لو تعرفين أنّ تلك الابتسامة لبثت خالدةً في حياتي ، مثلَ اسمي ، بل هي الزادُ الأعظمُ من البراءة ، الذي حملتُه معي ، وأنا أقطع طريق الشِّعرِ المليءَ بالمكائد ، وهي أيضا ، ضحكتُكِ ، تَميمتي وحِصني ، كلما غزاني اليأسُ ، أو كلما جرجرني الحنينُ ، من ياقتي ، إلى الصبا ، إذ لم تتمكن منها فئرانُ الزمن ، لم تكنسها الريحُ العاتية ، التي مرّتْ وكنستْ الأمانَ عن بلد بأكمله ، طوالَ السنين ، ولم تجفّ تحت أقسى الشموس ، لحد الآن ..

سحر الشِعر

مازلتُ أسيرَ تلكَ اللحظة العابرة ، اللحظةُ التي صيّرتني شاعراً بضربة سحرية خاطفة ، عندما خرجتِ من الشاشة ، وأخذتِني معكِ إلى السحر : لعبنا دورينا على مسرح ، لم يخضع لحراسة الملاك ولا الشيطان ، ثم ذهبنا إلى ما لا يمكن أن اسميه ، لأنه استغرق عمراً بأكمله : أتبعكِ من مدينة إلى مدينة ، التقط صورة وجهكِ من وجوه العابرات ، من السفر بين الكتب ، ومن أغلفة المجلات ، وأدخِّنُ حياتي على طاولات السهر : يراك مَن هم حولي متجليةً في الدخان ، فيتهمونني بالسحر ، ويطاردونني ـ لحد الآن ـ بالحجارة ، وباللعنات ..

الناي المكسور

كيف تمكّنَ صوتُكِ من مزج الحنان بالقسوة ، في بحّة واحدة ؟!
وأين تدرّبتِ على موهبة الغوص عميقاً ، في الصرخة ، حتى قعر الألم ؟!

يا شاهدةً على انهياري .
يا قويةً كنايٍ ، كنايٍ مكسورٍ ، كأغنية .

كيف لا أنضو عني جلبابَ سحنتي الآدمية ، وأعودُ ملاكاً ، وأنتِ معي ؟!
وكيف لا ألفُّ عنقي حولَ منديلكِ ، وهو جاهزُ العنق لكل مشنقة ؟!

لماذا تستعجلين الخصام دائما ؟

كما لو أنك تعشقين العيشَ على الحافة .
كما لو أن طمأنينتكِ محفوفةٌ ، دائما ، بالمخاطر .
كأنَّ ريشَ عواطفكِ لا يجدُ نفسَه ، إلا بالطيران على ظهر الهلاك .
كما لو كنتِ مسكونةً بقلق لا خلاصَ منه ، إلا بتركِه يقلبُ ، على هواه ، قواربَ مصيري التي ، تحت كل الظروف ، تعبرُ نحوكِ ..

لماذا تستعجلين الخصامَ دائما ؟

الطائر

التقيتكِ في الغابة ، عندما كنتِ في ذروةِ النضج ، في طَورِ الثمرة ، وعلى وشك أن تنفجرَ حلاوتُكِ فتموّه نواقصَ الحياة ، ولم يكن من خُططي أن يسقطَ جَمالُكِ في يد الريح ، أن تدوسه أقدامُ العواصف ، وأن لا يشمله الشِعرُ بحنان التداول .

لكنني كنتُ طائراً عابراً ..

اللحن

كانت أخفّ من أن تحملها نسمةٌ ، غير أن ثقلَ الحب اضطرّها للهبوط ، من شاهق عزلتها ، على أحد كتفيكَ ، ولمّا كنتَ أقلَّ من أن تشعرَ بحاجتِها إلى يقظةِ القلب ، وإلى الحنان ، نفضتَ قلبَها القادمَ إليكَ ، بحركة سريعة ، طائشةٍ ، من يديكَ ، ومضيتَ ، غافلاً عن رنّة اللحن ، في جهات العالم الأربع ..

الرسالة

أحملُ معي ، أين ما حللتُ ، رسالتكِ التي لم تكتبيها ، متحصّناً خلفَ هذا الوهم ضدَّ الصدأ ، الذي سرعانَ ما يكتسح عواطفَ المخذول ..

أحيانا أعثرُ على ابتسامة مهمَلةٍ منكِ ، لم يمسّني شعاعُ برقِها الخاطف ، بين أوراق الذكريات ، التي لا جدوى من تقلبيها ، كما لو كنتُ شجرةً تتـفقد الزقزقاتِ المنسيةَ لعصفورِها المختار ، الذي غادرها ، فجأة ، ولم يعدْ أبداً.

موكب الهديل

أنتِ التي عندما أطرقُ بابكِ ، يرنّ الوترُ المقطوعُ فتخرجين ، من جميع الأبواب ، بهيئة موسيقى ، وعندما تتيه العاصفةُ ، تسندُ ظهرَها إلى أسماء العشاق المكتوبة على جذع شجرتكِ : لتتنفسَ الغناء النقي ، وتستريح ..

أيتها الهادئةُ كالندى ، الصاخبةُ كالمطر ، والحزينةُ كرحيقٍ لم يقع على وردتِه بعد !

دموعُكِ تؤرّقني ، وابتسامتُكِ ، وحدَها ، تحصّنُ حياتي من السقوط في كمائن الخذلان .
هو ذا حنانُكِ يتقدم متفوقاً على حنانِه ، ليقتلعني من اليأس ، كما كان يفعل طوفانُ أجدادي في غابر المطر ، ثم يفيض نجوماً ومجرات ، ليغمرَ موكبا من الهديل ، يتبعني أين ما كتبتُ اسمكِ.

في غابة عواطفكِ

كنتُ أنظرُ ، من خلف النافذة ، إلى الشجرةِ ، تحت المطر ، تذرف أغصانها ، وكانت العزلةُ تحيطني ببشاشة عزلتها ، ثم حصل الأمرُ كما لو كان وحياً ، لأنني لا أعرف ما هو الحافزُ ، الذي جعلني أخرج عن البئر ، التي رميتُ نفسي إليها .

كان وقتي ضائعاً في الهدوء المقدس ، أما حياتي فقد تحوّلت إلى سلسلة طويلة من الأفكار ، التي لا أعرف إلى أين تفضي نهايتها ، لكنني ـ في لحظة خاطفة ـ رفعتُ رأسي ورأيتكِ ، كما لو أني فعلت ذلك استجابةً لنداء خفي ، تبيّن أن مصدرَه أنتِ ، إذ ما أن طلقتُ العزلة ، وتركتُ الفئرانَ تسرحُ في مراعي المكتبة ، حتى توغلتُ في غابة عواطفك العميقة ، فعثرتُ على الصدى العتيق لطفولتي ولدموعي ، الذي كنتُ أبحثُ عنه هناك ، في المكتبةِ ، وفي متاهةِ الكتب .

لؤلؤة تتعثر بلمعانها

لم أستطع أن أنسى دورانكِ ، حول البيت ، بحثاً عن المفتاح ، الذي لا وجود له ، ولا إصرارَكِ على مواصلة البحث ، في الظلام ، حتى أن المعجزة غمرتكِ بحنانها ، فصارت آيتُكِ أن تحملي الفانوسَ الذي أنتِ فيه الشُعلةُ .

لم تعثري على شيء ، رغم أنكِ فتحتِ كلَّ الرسائل ، وتصفحتِ كلَّ الذكريات ، لأنكِ كنتِ مثلَ لؤلؤة لا تتعثر إلا بلمعانها ..

لم أستطع أن أطفئَ نيران ذكرى رؤيتكِ ، وأنتِ تنشرين ملابسَ أولادكِ القتلى ، على حبال الغسيل ، ثم تخلعين ثيابك ، تعلقينها ، وترفعين يديك إلى السماء ، التي كانت تذرف دموعَك بغزارة ..

كنتِ مسقطَ رأسِ الجَّمال ، وكانت الشجرةُ تفكرُ فيكِ ، كلما هرب عصفورٌ من الغابة ، لكنَّ العالمَ كان في مهمّة خاصة ، فلم ينتبه ، وأنتِ تطيرين ، في الريح ، مع الملابس ، مثلَ موكب من الريش ..

شعبٌ من الفراشات والبلور

لم أنسَ أنني قلت : " أحبكِ " من قبل ، لكنني أكرر هذه اللفظةَ المعجزةَ ، كي أصونَ حريتي من الهبوط إلى وحلِ العالم ، فأنتِ العادلةُ كالهواء ، النبيلةُ كأفراح الطفولة ، الشائعةُ لكنْ كالمطر ، والغريبةُ كبلدان مرسومة على خرائط الخيال .

آه ،

سيزداد العنفُ ، أعرفُ ذلك ، وسيسيل الدمعُ من النوافذ ، حتى تخرّ الجدرانُ صعقاً : سننكشف دون حماية ، على سرير الطفولة ، وسط الانفجارات ، وسأحبكِ دائما ، فالحبُّ ، حبُكِ ، يرفعني من ذاتي الضائعة في العبدِ ، إلى مستوى ذاتي المشرقةِ في السيد ، كلما خالطني الخوفُ ، إذ إنّ في مرجان ذاتكِ ، وحدَها ، يتكوّن لؤلؤُ الأمان ، ومن حواسّكِ ، وحدها ، يضيء شعبٌ من الفراشات والبلور ..

الموت العميق

أنثـر أحلامـي علـى خـرائط النـوم ، أنـادِمُ الأرقَ أثنـاء حراسته للوسادة ، وأحبكِ بكل ما أملك ، لأن ما أملكه حقا هو هذا الذي لا يجلده سوطٌ ، و لا تحجزه القضبانُ ، لأنه الضميرُ أو القلبُ ، ولأنه الفنُ أيضا عندما يكون عادلاً .
إنني هلِعٌ ، في الأصل ، منهوشُ القلب وحزين ، لكنّ الحبَّ ، وحده ، مَن يجعل مني مخضّباً بالدروس التي لا جدوى من إتقانها ، رغم أنها ضرورية للتزوّد بالعصيان .
أقود مؤامرةً ، أعرف أنها فاشلةٌ ، وأجهل أيضا ضد مَن أقودُها : لهذا أحبكِ ، لأنكِ تلهمينني القوةَ ، أنا الذي صرتُ هيكلاً عظمياً للخسارة
احبكِ ، أنا المفلسُ ، بكل ما أملكه من لمعان ، ليتمتع العالمُ بالشِعر الذي يفرك الصدأ عن القلب ، و لكي أنجوَ من العيش في السهولة .

أحبكِ لأتمتعَ بموتٍ عميق ..

أجنحة

لا يزال يحبكِ بقلبٍ متماسكٍ ، يؤهلُه أن ينفذَ من مَسَام هزيمتِه ، ليحتلَّ الإعصارَ حتى آخر ريشة ، يُريكَ النصرَ ، يلمعَ بروح من ذهب ، ويرفعَ قبضته ، مهدداً فلولَ الجَمال ، الذي يفكِّر أن يطولكِ ..

لا يزال يكتبُ أشعاراً ، بحثاً عن مفتاح ضائع لأقفال لم تُصنعْ بعد ، أو يرمي صنارته إلى بحيرة الغياب ، ويصطادُ أسماكاً وفيرة ، كالدموع ..

لا يزال كما هو : يحلّق عالياً ، فمذ أن ألقيتِ عليه قميصَ حنانكِ ، ارتدّ طائرا ، و نبتتْ له أجنحة ..

صمت الندى

هناك قُبـلٌ تنتظرُ ولادتها ، خلسةً عن النظام ،
هناك قصائدُ تحبو نحو الفطامِ على يديكِ ،
وهناك أنا المشلولُ ، وسطَ موكبِ الرياحِ ، لأنكِ تملكين أسرارَ أجنحتِها .

أعرفكِ تشرقين من خلف قضبان التقاليد ، عاريةً كالفجر : تقلِبين الأمواجَ بوجه القوارب ، تلاطفين خيال بحّارة تائهين ، وتفسدين على القدر لعبتَه بالمصائر ، لكن ..
آه ،
هناك ألـمٌ لا يقال ،
هناك جزعٌ لا يُكتب ،
وهناك حبُّكِ الذي لا يُنجزُ كاملاً ، مثلَ قصيدة أو مثل كتاب أو مثل فيلم سينمائي .
حبُّكِ الذي لا يتمُّ ، ولا ينفد .
حبُّكِ الصامتُ ، صمتَ الندى ، الذي يملؤني بالصخب ، ويجرحني بعذريته ..

لمعان الدرّ

أريدُ أن أحبكِ كمأزقٍ ، أو كورطةٍ :
أن أصحَبكِ كأنفاسي ، أن أفرَّ منكِ ، وأن أقابلَك وجهاً لوجه ، في كل مكان ، كالمصير .
أريدُ أن أجعلَكِ الملكةَ في قصيدة أخرى ، قصيدةٌ لا تُكتب ، ولا تنال منها يدُ التداول .

أفكرُ في أن أحبكِ بوجازةِ البلّور ، وأن أُشبعَكِ بالسُّبابِ وبالشتائم ، بلمعانِ الدرّ ، وبالدموعِ .

ولأنكِ وجيزةٌ كما قُبلةٍ ، وكثيفةٌ مثلُ لؤلؤة ، أفكرُ أن أرشّ ،على أرض صدركِ ، حسراتي ، فتنمو ، على سفوحِه وبين وديانه ، شاماتٌ لا تحصى ..

بسبب الطفولة

أسكنكِ ، لأنكِ مفتوحةُ الذراعين كالمصير ، وأهجركِ لأنكِ في المقدمة ، أين ما ولّيتُ وجهي .

أترنمُ بكِ لجميع الأسباب ، التي تجعلني عليلاً بالعافية ، أو مريضاً يواسي الصحةَ الرديئةَ للشفاء !

أحياناً أتواصل معكِ بالحدسِ ، وعبرَ أنفاق من النوم مكتظةٍ بضباب الخيال .

أتبعكِ بسببِ جميع الحاجات الغامضة ، التي لا أعرف منها شيئاً ، سوى أنني عندما أكون معكِ أستعيد شِعريةً مفقودةً ، وأكتبُ بإخلاصِ مَن يعتقد أن العالم يجلسُ خفيفاً ، مثلَ طفل ، على كتفيه !

أحبكِ بسبب الأحلام المُهلِكة ، وبسبب الطفولة !

خارقة الفرح

أتأملُ في حبكِ ، الحبَّ الشائكَ الغريبَ ، والعصيَّ على الفَهم ، الذي يجعل من انخطافكِ بالمطر موسِماً للحنين ، ومن ولهكِ بي مدعاةً للطيران ، حتى تخومِ السمو .

أيتها الريشةُ التي تَرسم ، في بلاغةِ سقوطها ، الهيكلَ العظمي للعاصفة ..

أنا زورق ورقيٌّ : زورق ورقي .. يسير مثقَلاً بأحلامِكِ ، التي رفضتْ كلُّ مراكبِ العالم أن تَحملَها ، لأنها خارقةُ الفرح .. مثلُــكِ .

زوارق ورقية

لا أعرف كيف تحرّرتُ من اليأس ، وتقدمتُ نحوكِ . كنتِ جالسةً في المكتبة ، ولم يخطرْ لكِ أنَّ هذا الشبحَ الذي توقفَ عن المشي ، يرغبُ أن يجلسَ إلى جوارك لحظةً واحدةً ، خاطفةً وسريعةً ، ثم ينهض تاركاً كلَّ حياتِه ، على الطاولة ، تتصفحينها بعينيك القمحيتين ، تضمينها إلى بستان صدركِ ، وتنحنين برأسكِ عليها ، فيسيل شَعرُكِ الطويلُ ، مثلَ نهر ، يلقي إليه قبلاته المكبوتةَ بهيئة زوارقَ ورقيةٍ ، نُبحر على متنِها .

أهمسُ لكِ : " أيتها الجوهرةُ " ، فتشتعلين ..

عندما تلعثم البرق على شفتيك

ارتبكتُ حينَ رأيتكِ ، في تلك اللحظة ، التي خسرتُ فيها الألمَ والحبَ معاً ، مثلَ وتر مقطوع ، فجأة ، مسّه الطربُ .

لم أنكسر ، لكنني تهدمتُ ، ومع ذلك أكملتُ مَهمَّتي ، وسألتكِ إن كان ممكناً ذرفُ دمعةٍ من حنانكِ ، لأجلِ هذا الحطام ؟!

لم أنطق إلا بهذا ، لأنكِ تعثّرتِ ، وفتح الزحامُ ذراعيه الواسعتين فأبتلعَكِ : غرقتِ فيه ، ولحقتُك ، كما لو جاءني الوحيُ بالرسالة : إنَّ أصدقَ تعبيرٍ عن الحب ، هو ذلك المخبوءُ ، في الكلام المتعثر ، الذي رأيته جلياً ، عندما أشرقَ شحوبُ وجهكِ ، وتلعثم البرقُ على شفتيكِ.

الشعلة

كنتِ متوهجة كالشعلة ، في قلب الليل ، من فرط العسل ، وكان من عاداتكِ ، عندما يفورُ الجمرُ في القلب ، أن تطلبي من الريح دخولاً عاصفاً ، يُطلقُ سراحَ الصورة من إطارها ، فتخرجُ امرأةٌ من النافذة ، تخرجُ عاريةً من الإطار، وتثبُ من على سياج اليأس ، فيسطع القمرُ : يندلعُ التينُ من الشفاه ، ينفجرُ الزيتونُ في العيون ، دمعةً بعد دمعة ، ويتفتحُ التفاحُ ، كلُّ التفاح ، تحت القميص ..

هكذا تولدينَ !

كلما حاصرني اليأسُ ، كلما سقطتُ قتيلاً في الحرب ، كلما عدتُ مهزوما ، وكلما أسرني الألمُ ، وصفعتني الحياةُ بقبضتها الباردة ، تولدين : تَخطِفين مثل برق ، فأستعيدُ اخضراري ، وانبتُ مثل شجرة غريبة ، شجرة لا بستان لها ولا بيت ، وسط ساحات المعارك ، كأنها منذورة لتُقلقَ الموتَ !

أحشاء قصائدي

ليس من الشِعر أن أحبكِ دون أن أشعر بالخوف ، لأنكِ باسلةٌ ، كريشةٍ تطيرُ آمنةً بين العواصف .
ليس من الحب أن أشعر بالأمان ، لأنكِ مفقودتي سلفاً ، قبل أن أحبكِ ، قبل أن تذوبي في الحضارات ، فيضيعُ اسمُكِ بين المشاعل والحرائق .

ليس من الحب أن لا أعرفكِ ، وأن تعتقدَ الصبايا ، كلُّ الصبايا ، انكِ تفرشين نهاري طُرُقاً من الورد ، وتشعلين ليلي بعطر حضورك الساحر ، لكنّه من الحب أن لا تعرفيني ، وأنا أتلوى بين أحشاء قصائدي بحثاً عنكِ ، و لا أجد امرأة تشبهكِ هناك ..

القنديل

مازلتُ أتسرّبُ من ثقوب الناي ، مثلَ لحن يجرح الغناءَ ، يضعُ المصيرَ على المِحك ، ويطوف حول جمالكِ ، الذي أعرفُ أنه سيذوي في خرائب هذا العالم السافل ، ولن يكون لي أبداً .

يا مسابَقةَ الجداول مع الفرح ، يا نشوةَ الكتابة ، وبهجةَ المشي تحت المطر . يا رعشةً تعبرُ بالجسد من وجوده إلى كينونته ، ويا قطرةً تسيلُ ، في مجراها ، جميعُ الأنهار :

قلبي الذي أَحبَّكِ بصمتٍ يتعذّرُ وصفُه ، مثل قنديلٍ مكسور ، يوشكُ أن ينطق بالضوء ، رغم أنه ما من زيتٍ فيه ، وما من نار .

النافورة

أحبكِ بصمت ، لئلا أخرّبَ تناغمَكِ مع الفرح المغشوش ، ولئلا أُفسدَ عليكِ طمأنينتكِ في أن كلَّ شيء على ما يرام .

هل تعرفين ؟
لقد أحببتُ جميعَ ممثلات السينما ، وكل المطربات ، لكنني لم أرتوِ من النبع ، ولم أُشبِعْ فضولي في التعرّف على المرأة من داخلها ، فالمرأة كنز ، وأنا أحب الكنوز العصية على التناول .

أُحبُّني عاشقاً خائباً عن بعد ، مهمَلاً ومتألماً ، ففي داخلي نافورةٌ من الدمع ، مسدودةٌ بأحجار الأسى ، وأنتِ معجزةُ المطر والطوفان !

سقف الاضطراب

لأنـكِ مفقـودةٌ ، ومسـتحيلة ، لأنـك غريبـة فـي ِالنسـاء ، وأليفـة فـي الحـب ، لأنـكِ بـاردة ودافئـة ، لأنـكِ مجنونـة كصباح عاصف ، كعاصفة في قصيدة ، كنافذة مكسورة ، كشـجرة تتسلق نفسـها ، كصـرخةِ يـأس ، كمُشـادةٍ بـين اللاشيء ونفسه ، وكعطر ينهبُّ وردتَه من حديقة .

لأنكِ معطوفة وعطوفة .

لأنكِ أداة مجهولة لا يعرفها النّحاةُ : ترفعين المنصوب ، وتنصبين الفاعل .
لأنـكِ مجـرورة بـالحلم ، مرفوعـة باليقظـة ، ومنصـوبة بالحزن ..

أهجرُ كل معرفتي بالخذلان وبالنفي ، وبالعيش تحت سقف الاضطراب ، وأقول : "احبك " مُعلناً بداية تشرّدي في هولكِ ، في رعبكِ ، وفي الرمال المتحركة ، التي لا يحيط بخواطرها إلا بهاءُ جمالكِ ..

وتر

ليس ثمة ما هو أكثرُ حياديةً من المطر .
وجهكِ برقٌ !

وجهكِ ،
مثلُ فجر يرشُّ نوافذَه على زجاج الصباح .

أيتها الناصعةُ كالفجر ، أيتها الضائعة كعناوين القتلى في الحروب ، أيتها الطالعة كالشرارة ، من كل حريق ..

هناك وترٌ في العود اشتعلَ ، في خيالـه ، بهاءُ وجهكِ ، واجتاحه فيضٌ من الشوق لأن يعزفَه في لحن ..

قوارب الاستعارات

عندما رأيتكِ ، أوّلَ مرة ، طافَ حول رأسي العطرُ ، شملني جمالُكِ بالرعب وبالأمان ، فسقطتُ من هول الحمى ، ولم أركِ حين مشى خلفي موكبٌ من اليأس ، ومن الشموس..

عندما أحببتكِ عرفتُ كم هو محصولي من البرق ، كم هي رغبتكِ بالخطر ، وكم علينا أن نطويَ الأرضَ إلى ما خلف الملاك ، أو إلى ما قبل الشيطان .

عندما امتزجتُ بكِ مسَّ قلبي شعاعٌ غامض ، و حط قلبُكِ ، مثلَ فراشة ، فوق كتفي :
صرتُ وردة .
صرتُ ناراً .
وبين الوردة والنار وُلدتْ قصائدُ لا تُكتب ، لأنها من جنسكِ ، الذي لا تطوله المجازاتُ ، وتغرقُ ، في الطريق إليه ، قواربُ الاستعارات ..

رائحة المطر

أستنشقُ رائحةَ الأرض بعد المطر ، وأفكر فيكِ ، رغم أننا ما مشينا يوماً معاً ، ما تصافحنا ، ولم نجلس على مصطبة ، أو تحت سقف واحد ، فكل ما بيننا هو هذا الهذيانُ العاطفيُّ على شبكة الانترنيت .
آه ، هذا الهذيانُ الذي يفضحنا أمام بعضينا ، يؤكِّدُنا خائبَين أبداً، إذ مهما هطل المطرُ لن نبتلّ به ، ولن تشع رائحةُ العشب من جسدينا .

مهما سقط الظلامُ لن يعطَّ نورُ قلبكِ : لن تكوني لي ، لن تقاسميني السهرَ تحت ضوء قنديل في الأزقة ، لن أنبتَ إلا مثلَ غصّة في حنجرتكِ ، مهما غنَّيتِ ، ولن أكون سوى خائبكِ الأرعن ، الذي لا أحدَ يهتم به ، والذي يعتقد أنكِ خلف الشبابيكِ كلها تنتظرينه ، عائداً إليكِ بالغيم ، بالعشب وبالمطر ..

عاشقة مبتدئة

كانت تفاحتا صدري قد كبُرتا بمجرد أن لمحتُكَ تنظر إليهما ، خلسةً ، وأنا أمشي ، مُسدِلة ضفيرتي على ظهري ، أتظاهر باللامبالاة للحافزِ الذي بدأ يدفعني للطيران ، مع كل خطوة ، كأن تلكَ اللحظةَ ، تلك اللحظةَ الخاطفةَ ، قد بعثتْ بأنوثتي كاملةً ، حتى أنني حين عدتُ إلى البيت ، لاحظ الجميعُ أن وجهي كان متوهجاً ومشرقاً ، بكامل نورِه .

لم أعر لهم أيّةَ أهميةٍ ، ودخلت غرفتي ، ثم أغلقتُ البابَ بإحكام : خلعتُ ثيابَ الطفولة إلى الأبد ، ولأول مرة في حياتي فتحتُ النافذةَ ، على مصراعيها ، ثم جلستُ خلفها ، كعاشقة مبتدئة ، بانتظار مرورِكَ ..

قصيدة أحبك

لمسةُ العطر ، وراء أذني ، هي التي فاحتْ ، فأغوتكَ : أَمرَتْكَ أن تتبعني ، وأنا أتجول ، في السوق ، لا على هدى .
كنتُ أشعرُ أنكَ تتنفسُّني ، ومن خلال امتزاج أنفاسنا ، كان يولد شيء ما يُشبه السحرَ ، لكنه خفي و غامض ، شعرتُ بعذوبة تياره الغريب ، يجري في أوصالي ، ويكتسحني ، حتى ظننتُ أنني ارتفعتُ في الهواء ، وأمسكتُ بالغيم ، بالمطر وبالنجوم ..

لقد كنتُ في لحظة اندلاع التفاحتين الغضتين ، من تراب صدري الخصب ، ومازلت أحبو على ركبتيّ ، نحو طريق الهوى ، مزهوّةً بالفطام ..

آه ، كم تمنيتُ أن تكون للحب يدٌ سحرية تنضو ثيابي عن جسدي ، لتراني متوهجةً كالجمرة ، كم تمنيتُ أن تكون شجاعاً ، أن تخترق الجمرةَ ، أن تسكنها ، أو أن تمسكها من أجراسها ، لكنك كنت متردداً ، كمن باغتَه المطرُ في يوم مشمس ، أو كمن داهمه الخطرُ في لجّة العواطف ، حتى أنكَ لم تنتبه لتوقفي المفاجئ أمامكَ.

لا أعتقد أنكَ لاحظتَ ارتعاشَ ركبتيّ ، أو ارتجاف يديّ ، ولم تسمع ضفيرتي التي همستْ لكَ ، بهدوء الندى ، وهي تتلوى على ظهري : أحبك..

بطاقة الطرد من القطيع

يا دافئتي في العراء ، منطقتي في الحب ، وجريمتي في الكتابة : يا كثيرةَ الكمائن ، ويا حريتي : يؤلمني أن أقفَ عاجزاً عن الفعل الذي يناسبكِ ، فأنتِ الأنقى ، مهما كنتُ نظيفاً.

يجرحني أن أكون قليلاً ، أن يتضاءلَ نوري بحضوركِ ، مهما زدتُ ، فأنتِ المضاءةُ بنور الحب ، مهما كنتُ جميلاً : يا نبوغَ دمعة ، وابتسامةَ جرح .

يا عشتاري ، يا إطلاقتي الطائشة ، ويا أهدافي : يُخرجني عن طوري أن لا يمكنُ أن أكون ملاكاً مثلَكِ ، شاسعاً مثلكِ ، وكثيرا مثلكِ .

يجرحني حقا أن أكتبكِ بهذه الطريقة : يا سياجَ بيتي ، يا بيتي المفقود في العواصف . يا خرافتي يا يأسي ، يا بطاقةَ الطرد من القطيع .

يداخلني الشعورُ بالخيانة : أن أجعلكِ مُشاعةً وأنتِ العزلةُ ، جوهرَها ولمعانَها ، أن أفضحكِ وأنتِ السرُّ ، وأن أخلطكِ بي ، أنا الناصعُ الحزن ، وأنتِ البهجة بكامل أناقتها !

الغيمة

أترنمُ باسمكِ الغريب ، بابتسامتكِ الشاحبة ، وبكآبتكِ الشتائية المفاجئة ، عندما تمرّ غيمةٌ من هناكَ ، من بعيد ، وأنتِ خلف النافذة ، هادئةٌ ووحيدة ، تنظرين إلى الأفق ، ليس بحثاً عن شيء ، وإنما هو الملل ، الذي لا يكسره شيء ، سوى انتظارٍ لمجهولٍ لم يتبيّن شكلُه بعد ، في خيالك .

أفكر في هذا كله ، محاولاً أن أعثر على السر ، الذي يجعلنا ننتظرُ مخلّصاً لن يصلَ ، إلا بعد أن تنتهي حاجتُنا إليه ، أو بعد أن نكون قد صرفناه عن ذهننا .

لا اعرف لماذا يخامرني الشعورُ بالحزن ، فكل شيء سيخطفه النسيانُ : أنتِ ، أنا ، ابتسامتكِ وكآبتكِ ، ولن يبقى من المشهد إلا تلك الغيمةُ ، الغيمة التي تمر وإليها ، من خلف النافذة ، ينظرُ رجلٌ ما، ويترنم باسمكِ الغريب ..

الجريمة العادلة

لا أعرف أعجوبةً كالحب : يَكسرني وأحبكِ .
لا أعرف أحداً يحبكِ ، مثلَ حبي ، لأضيفه إلى حبي وأحبكِ .

يا متفرقةً ، يا واحدة ، يا يتيمة ، يا معبودة ، يا مكسورةً ، يا ساحرة .
يا سفيرةَ الينابيعِ إلى الوديان ، أيتها القطرةُ ، يا كثافةَ الرمل ، واكتنازَ جسدي بالواحات وبالعطش .

أنتِ مَن انتظرتكِ في الموعد ، قبل الموعد ، وبعده .
أنتِ مَن وصل بعد فوات الأوان ، في الأوان ، وقبله .
أنتِ مَن خرّبَ الزمنَ ، وهطل غزيراً بالطفولة .
أنتَ من وعدتكِ أن أخونكِ مع كل امرأة ،
وأنتِ جميعُ مَن خنتُ ومَن أحببتُ .
أنتِ الشاردةُ من جمالكِ ، إلى جمالكِ ، كماء يصعد عائداً إلى نبعه .
وأنا اللغةُ التي ترسمكِ نقيةً كالندى ،
معزولةً كالندى ، وعطشانةً إلى نفسها كالندى .

لا أعرف معجزةً كالحب : يمزقني فألمُكِ .
يجرحني فأُشفِيكِ .
لا أعرف أحداً يحبكِ مثلَ حبي ، لأُضيفه إلى حبي وأحبكِ .

لا أعرف سحراً كالصمت ، صمتكِ ، وسكوتي وأنا أنحدر من حبي لكِ إلى حبي لكِ .

لا أعرف هاويةً أعمقَ من هذا .
لا أعرف جريمةً عادلةً كموتي من الغناء ، ومن الحب .

الذات العميقة

أبحثُ عن عنوانكِ في الحب ، عن اسمكِ في الينابيع ، عن سنابل شعركِ في الحصاد ، وعن جسدكِ في الطيران إلى الحرية ، التي تهدِّمُ السياجَ .

لا أريد أن أخضّكِ مثلَ شجرة ، من أجل أن تسقط تفاحتُكِ في سلتي ، لن أرمي صنارتي ، في بحرك العميق ، مهما كان ثمنُ الجوهرة ، و لا أعير أهميةً لهذا النور الضئيل ، في روحكِ ، فهذا ما يعكسه كل إنسان .

أريدك أنتِ :
أنتِ الذاتُ العميقةُ ، أو رعشةُ الأوتارِ في العود ، عندما يُسكرها اللحنُ ..

الملائكة تعود إلى العمل

مساء الخير ، أيتها المرسومُ حول خصرها مدارُ الأرض ، وهطولُ النيازك .
مساء الخير ، أيتها الطالعةُ من الحريق ، أيتها الناجية من المجزرة .
مساء الخير ، أيتها المشتعلة بحب لا شفاء منه .
مساء الخير ، أيتها البريئة ، كقُبلة ترتّب أناقةَ النوافذ من وراء زجاج النسيم ..

هناك تقدّمٌ ملحوظٌ للأسى ،
هناك صحوٌ كثير في ضباب عواطفكِ ،
هناك عاصفة من العطر تنهضُ من سريركِ ، كلما ارتفعتْ درجةُ حرارة الهيام في قلب وردة .
وهناك خيط من أنفاسكِ ، يقودُ الفراشة إلى الوردة و يَحْبِكُ ، من مسارها إلى النار ، سلالاً من الرحيق .

صباح الخير ، أيتها اللامعة في موكب الشمس
صباح الخير ، أيتها القادمة من شعاع الأساطير ، وبطون الكتب
صباح الخير ، أيتها المسافرةُ في طرق الخيال .
صباح الخير ، أيتها المنحوتةُ من رموش السعف ، أيتها العالية كقامات النخيل .

أحبكِ
لأنَّ الآخرَ النقيَّ ، الذي لم يظهر من قبل ، يثبُ جميلاً كالغزال ، من داخلي .

لأنني أقبض على الخيط اللانهائي لطائرتي الورقية ،
التي فقدتُها ، دفعةً واحدة ، في الطفولة ،
ولأنَّ الرعبَ يتوقف عن التناسل ، يتبخرُ اليأسُ ،
والملائكةُ تعود إلى العمل ، عندما أحبكِ ..

ساوميني بالعراء لأكون بيتا

عاشـرتُ المـاء ، حتـى صـرتُ قطـرة ، مـن أجـل أن أستوعبَ بساطتكِ .
تأملـتُ التـرابَ ، لأتعـرّفَ أكثـرَ علـى خالقـكِ ، أيتهـا المعجزةُ .
راقبتُ النارَ ، لأُتقنَ كتابةَ شكلكِ ..
وتنفستُ أنفاسَكِ لأتعلمَ أبجدية ضرورتكِ للهواء .

ساوميني بقبلة لأمنحكِ نهراً غافيا في القبلة .
ساوميني بالسهاد لأصيرَ سريراً .
ساوميني بالعراء لأكون بيتاً .

أهدّدك بالأمان ، وتهددينني بالحب .
أتوعدكِ بالترنح على أرصفة قلبكِ ، وتتوعدينني بمطر ناعم .
قولي : لا أحبكَ ، لأقولَ : يا كاذبة .
قولي : مللتُكَ ،لأفركَ قلبي.

كوني العالمَ لأكون قديساً ، كوني قديسةً لأنحني راكعاً مثلَ قوس ، كوني نُبلة لأقهر الموتَ ، كوني هدفاً لأطعن قلبي ، كوني امرأة لأخرجَ من ضلعكِ ..

موسيقى

لم أركِ كما أشعرُ ، أو كما توهمتكِ ، أو كما تتناسبين مع قدرتي على العيش في كنفِ امرأةٍ بسيطة ، أكثرَ من بساطتي ، فأنا ممتلئٌ ببهجة المشي في ضباب نفسي ، ومحشوٌ بحزن يُشعلني شموعاً على طاولات السهر .

لقد وصلتكِ مبتلاً بشِجارِ العصافير على حبّةِ قمح ، فوجدتُكِ آهلةً بالحقول وبشمس السنابل . شعرتُ حينها بموجة من الرعب ، فلم أتقدم أكثر : لبثتُ أنظرُ إلى خطوط الحظ المرسومة في صحن راحتيّ ، بحثاً عن نسمة ترفعني إلى مقام أجنحتكِ كالريشة ، وعندما لم أجدها لم أفعل شيئا ، سوى أن أعود إلى المشي في ضباب نفسي ، أو أن أعيش عابراً في كهوف الكتابة ، لكن .. لأنكِ أكثرُ من أن يحتويك كتابٌ ، صرتُ أفيضُكِ حتى في حماقاتي ، فبسببكِ صارت أغلاطي قصائدَ ، وعجزي عن الغناء ، تحت نافذتكِ ، موسيقى ..

مهددا بالحنان ومحروسا بالمهالك

لبثتُ متحصّناً خلفَ قلعة أسراري ، متوحداً ، وجالساً في مغارة نفسي ، حتى أن أحداً لم يرني ، بمثل هذه الهيئة المحطَّمة ، قبل أن تمري في حياتي ، لأنني صرت أتوهج ، كلما اشتقتُ إلى مرورِكِ ، ثانيةً ، ولو بشكل عابر .

كنتُ أطوفُ حول غيابكِ كطائر، في ذروة العاصفة، يبحث عن جناحيه ، لأن الحبَّ ، حبي ، كان من العنف ، بحيث لطّخني بالفزع ، انتزع سريرتي من أجراسها ، وتركني أبتكرُ مصيراً غامضاً كالشِعر ، أو كقطرات مطر لا تؤكّدُ وجودَها ، إلا بالسقوط على كتفيكِ ..

كيف وقعتُ في كمائن وجهكِ المبتسم ، أنتِ التي أعرفُ اللاشيءَ عنكِ فقط ؟!
وهل كان ذلك هو الحافزَ الذي أخذَ بي إلى القعر، بحثاً عن القشة التي ، وحدَها ، تأخذني إلى غموضكِ ، حيث الأمانُ والخوفُ يجلسان إلى مائدة واحدة ؟!

كنتُ قد اتخذت طُرُقاً وعرةً إلى القصيدة التي تُشبهكِ ، وعندما ـ أخيراً ـ وجدتُ نفسي أتجول في خوابي روحكِ ، أدركتُ لماذا أُعطيتْ لي الشعلةُ ، وفهمَتُ تماماً لماذا صرتُ أكتبكِ مهدَّداً بالحنان ، و محروساً بالمهالك .

نقية مثل دمعة

لم أقصد أن أحبكِ : لقد لجأتُ إلى جَمال الأسى في حزنكِ الأنيق ، هرباً من المرارةِ ، بعد أن خذلتني المرأةُ التي أحبُّ وطارتْ ، بخفةِ الريشة ، في هواء رجل آخر.

كانت خيبتي قد هيّأتْ لكِ مكاناً آمناً في قلبي ، الذي عاش صراعَه الطويل ، مع العاصفة ، بهمّةِ نسرٍ يحاول أن يلتقط ظله الساقطَ على الأرض ، ولم أنجح في ذلك إلا بعد أن سال دفقُ حسراتكِ في أودية حياتي ، وكشطَ الأطيانَ من الداخل .

لقد أحببتكِ ، دون أن أشعرَ ، أو دون أن أعرف أني أحبكِ ، لأنكِ كنتِ نقيةً مثل دمعة ، كما إنكِ وقعتِ في حبي ، دون أن تعرفي أن قلبكِ قد استرد يقظته ، بعد أن خذلكِ الرجلُ الذي أحببتِ ، والذي خانكِ وهرب ، مع امرأتي .

اللغز

المرأةُ التي كانت تتخذ منكَ ذريعةً للبقاء في الحياة ، بكل أوجاعها : تؤمن بك كنبيٍّ ، وتحبكَ كفارس من قديم الزمان .

لماذا كفرتْ ، فجأةً ، بالشِعر ، بكَ وبالكتبِ ، ثم مزّقتْ حياتَها ، متخذةً من الصمت ذريعةً ، لصدِّ السؤال تِلوَ السؤال ؟

لماذا تشرق بكامل وجهها الآن ، لتضيءَ الصباحَ ، صباحَك الموحِشَ البارد ، فتبتسمَ بغموض ، كمن عثر على المفتاح السحري ، الذي يفتح جميعَ الأبواب ، ويعطي الجواب عن سرِّ أو لغزِ هذا الكونِ المترامي الأطراف ، كضحكتها التي هبّت من خوابي الذاكرة ، ومن مفترقات طرق النسيان .؟

الجرح

كان يجدّدُ ، بإصرارٍ ، الأخطاءَ القاتلةَ ، ويسعى إليها ، مثل قَدمٍ تعرف أين تقع عثراتُها..
كان لمعانُ الجوهر في إنسانكِ الداخلي يضيء له العالمَ ، كيأس يخصّبُ جسدَ التفاؤل .
كان ينتظركِ كمعجزة ، يعرفُ أن حدوثها سيقرّبه أكثرَ من الهاوية ، حيث يلّوّح له ، من القعر ، بهاءُ جمالكِ..

كان يحبكِ لكنّ جرحاً ما ، في داخله ، لم يتمكن من تجاوزه ، حتى حينَ لوّحتِ له .
لم يقوَ على أن يقول شيئاً . لم يرفع يديه ، لتلوّحا لكِ ، لأنهما كانتا تغطيّان الجرحَ ..

الليل الغاطس بالوحل حتى ركبتيه

أتشـمّسُ فـي باحـة ذكـرى ضـحكتكِ النقيـة ، أو أتـرنّم بعزلتي : عزلةُ الشعلة عن النار ، واثقاً من أنَّ لا موسمَ لقطافكِ ، لأنكِ مثلُ حلم ، لا يمكن نسيانُه أو تفاديه ، إلا بتغذيتِـه بـالوهم ، وكنـتُ أفعـل أكثـرَ ممـا يتطلبـه أمـرٌ ميؤوسٌ منه ، كأن أتدرّبَ على تسلق خيوط اليأس ، ثم أسقطُ مضرَّجاً بالهاوية .

لا أحدَ يجذبني إلى لمعانِه ، بعد أن لعبتُ دورَ الخيط في جسد شمعتكِ ، حتى نفد الخيطُ. وها إني أرغبُ أن أبقى في الظل ، بعيداً عن ضجة العالم ، مكتفياً بأن أعيشَ في أمان مع غيابكِ ، تحت سقف واحد ، ولا نفعلُ شيئا ، سوى أن نتعانقَ ، بحرارة ودفء ، ونحن ننظر ، من النافذة ، إلى الليل الغاطس بالوحل ، حتى ركبتيه ..

الملف

أتدفأ ببصيصٍ من الحب في رسائلكِ ، التي حذفتُها في لحظة يأس ، وأسرحُ في مراعي أكاذيبكِ الرائعة ، التي كانت تسعى إلى إطلاق شرارة الهيام في قش حياتي الرتيبة .
أندهشُ من عبقرية اختراعكِ للأمل ، في جعلي متوهجاً : أنتظر ردَّكِ الذي لا يأتي ممهوراً بالفرح ، أكثرَ الأحيان ، إلا بعد سنة كاملة ، ومع ذلك أطيرُ به ، وعلى شفتيّ ابتسامة الظفر !
تراودني فكرةُ أن استردَّكِ مثلَ ملفٍ ضائع ، أن أحبكِ ، وأن أغضَّ النظرَ عما كنتِ تكتبينه إلى يائسين آخرين مثلي .

أفكرُ في أنكِ ضروريةٌ ، بل أساسيةٌ لنا ، نحن الذين خسرنا كلَّ المعارك ، بما فيها معاركُنا معكِ ، أيتها الصبيةُ الشقية ، الماكرةُ ..

الكتب الصحيحة

افترقنا ليس بسببي أو بسببكِ . لا بسبب صحتي الهشة ، أو بسببٍ من مشاعرك المفرطة .

إننا مصابان باليُتم أصلاً ، وهذا ما جعلنا نلتقي ، من دون بقية البشر ، على حافة الهاوية ، لكنَّ حاجةَ العالم إلى أضحية مقدسة ، كي يتعافى ، كي يستمرَ بالتنكيل بعزلة الجوهرة ، وكي تسيرَ في أوردته نبضاتٌ مشتعلة باليأس وبالشك ، ذبحتْنا معاً ، تحت نظر الملاك ، وتركتنا نسيل ، مع الحسرات ، كالحمم على سفوح البراكين..

لم يبق دمعٌ نذرفه ، فقد سَقينا به ـ من قبل ـ الوردةَ ، التي سمّمتْ هذا الخرابَ بالجمال ، وكان لابدَّ أن نقبل بهذا الطرد من الجنة ، مثلَ هبةٍ مباركةٍ .
لنقتسمْ جرعتَنا بعدالةٍ ، دون تأنيب ، وليمضِ كلُّ واحد منا إلى عزلته ، بقلب مترع بالأسى ، فقد خسرنا لأنَّ كل شيء ليس على ما يرام ، لأنكِ أحببتِ التشردَ تحت المطر ، والركضَ وراء الغيوم ، لأنني جلستُ على سياج المدرسة أرمي أحجاراً على الصالحين ، لأنكِ آمنتِ بالموسيقى ، ولأنني حفظتُ أسماءَ جميع الممثلات ، وتلوّثتُ حدَّ العظم بالأغاني الجميلة.

لقد التقينا في مفترق طرق العاطفة ، لأننا قرأنا ، كلٌّ على انفراد ، جميعَ الكتب الصحيحة ، التي كان من المحتم أن تحفزَّنا على أن ننفجرَ ، أن نُحدِثَ دوياً عظيماً ، لن يتوقف أبدا ، ونحن نصطدم بالجدار ..

درجة حرارة اليأس

أشتاق إليكِ ، يمرّغني الحنينُ بأطيانه ودموعه ، فأتفتتُ في هواء الغياب السام ، بحثاً عنكِ ، أنتِ الهاربةُ لئلا ألمحَكِ ، ولو بشكل عابر ، حتى أنكِ قطعتِ صلتكِ بالأغاني التي كنا نحبُّها : اخترتِ القطيعةَ ، كي يغلقَ قلبُكِ بابَه عن كل شيء له صِلةٌ بي ، ولم أنتبه إلى الأقسى من ذلكِ عندما غيّرتِ اسمَكِ ، رفاقَكِ ، وهجرتِ الزقاقَ ، الذي كان يقود خواطري إلى ملعب عواطفكِ .

كنت ألوذُ بكِ عندما أفشلُ في أن أكون ولداً عاقلاً مع آلامي ، أو عندما ، في الليل ، أرى إلى رأسي مطروحاً فوق علامة استفهام كبيرة ، أو عندما تأمرينني ، من خلفِ ظهرِ نُوح ، أن لا أصعدَ في السفينة ..

كثيراً ما كنتُ ألجأُ إلى صوتكِ ، ألوذُ بكِ عندما أَسمعُكِ تغنين عن الحنين ، وعن الحب الخائب والاشتياق ، فيرتفع منسوبُ المياه في صحاري عطشي ، وتنخفض درجة حرارة اليأس في قلب العالم .

أشتاقكِ أيتها اللعينةُ ، أيتها المحبوبةُ ، أيتها البريئة ، أيتها الخائنة ، لأنَّ لا امرأة تشطفُ حطامي بفتنةِ الحب ، وبالسخرية من النظام ، كما أنتِ .

أطلاقة الرحمة

بعد أن فشلتُ في إقناعك أنكِ حصتي من هذا العناء ، الذي تكبدتُه ، وأني حصتُكِ من الفرح ، لأنك تستحقين رجلاً غاص إلى قاع العالم ، من أجل أن يجلبَ لكِ الجوهرةَ الضائعةَ .
بعد أن يئستُ من جذبك إلى مدار الحب ، حبي النقي كما قطرة الندى ، اضطررتُ إلى فتح أزرار قميصي لتَرَي أنني لم أعدْ أحداً ، لكثرةِ ما تبخّرتُ ، تحتَ الشموس ، في انتظاركِ ، وأن ما بقي مني هو هذا ، وأشرتُ إلى مكان قلبي ، الذي صار عبارةً عن ضباب ، من خلاله ، يشرق غيابُكِ المشمس .
لم تحرّكي ساكناً أمام بقية البراهين ، التي تثبتُ أن الأرض كرويةٌ ، لأنها تريد أن تُشبه تكويرةَ نهديكِ ، أن السماءَ صارت زرقاء ، لكثرةِ ما نظرتْ إليكِ ، أن قصائدي مكتظةٌ بالفراشات ، لأنها تحلم أن تعيش بين أوراق دفاترِكِ ، وأن ..

لكنكِ لبثتِ جالسةً على عرش جحودِكِ ، حتى عندما هممتُ أن أذهبَ ، ولم أنلْ منكِ ساعتَها إلا ابتسامةً ماكرةً ، تقبلتُها لأنها منكِ ، رغم أنه كانت تمثِّلُ أطلاقة الرحمة .

حياة مشتركة

أمرُّ ، أحيانا ، بنفس المكان السري ، الذي كنا نلتقي فيه لتبادل القُبل ، أو للشِّجار ، أو لترتيب مراسم حب لم يُكتب له أن يكتملَ ، وأقرأ رسائلكِ القديمةَ ، مُذعناً للحنين : أسمع نفْسَ الأغاني ، التي كنا نسمعها معا ، أو أبحث عن الكتب ، الكتب المحرّمة ، التي كنا نتداولها بكتمان ، بالرغم من أنكِ ، الآن ، مرميةٌ في أقصى نقطة من البُعد ، وقد حوّلتكِ روحُكِ القَلقَةُ إلى امرأة لا صلةَ لها بذلك الماضي المترع باليُتم وبالأسى .

أفعلُ ذلك ، بقلب أخضرَ ويائس في نفس الوقت ، قافزاً على حقيقة تحولاتكِ ، متمنياً أن يرجع الزمنُ إلى تلك اللحظةِ النادرة ، التي لا تمر إلا مرةً واحدةً في العمر ، هي لحظةُ اتحادِنا تحت قَسَمِ اللوعة ، لحظة خضوعنا لطاعة التشوّش والاضطراب ، أو هي لحظة اقترابنا من الحافةِ : حافةُ الرعب الممهورِ بالفرح ، المفتوحُ على بهجة الوقوع في الحب ، والمخضّبُ بالطيران في الهواء الطلق ..

آه ، كم أريد ، الآن ، أن أعيش تلك الحياة ، بلطفها وبفظاظتها ، مرة أخرى ..

حياتي النحيفة كما الناي

كان من الممكن أن أعيشَ معكِ على حافة الهاوية ، لولا أنها تغيّرُ مكانَها ، كلما تقدمتُ نحوكِ خطوةً . كان ممكناً أيضا أن نتبادلَ الرسائلَ والقُبلَ ، أن نخصّب الأرض والعشبَ والمطر ، وأن نتلوا أنهاراً من الفراشات والرحيق ، في جذور الشجرة التي يلعبُ ، بين أوراقها ، هواءُ الربيع ، لولا أنكِ سمحتِ للدود أن يزحفَ نحو تفاحة قلبكِ ، فجفّ الغصنُ ، وسقطتْ اللؤلؤةُ ..
لكن ..
لعلَّ ذلك من حسن حظ الشِعر :
أنْ أخسركِ ، أن تشطِّفي ثيابَ قلبكِ ، التي كانت منشورةً على حبل غسيل اليأس ، في نهر آخرَ ، أن تسكني بيتاً أكثرَ أماناً من عاصفتي المتقلبة المزاج ، وأن تُخيطي الشّقَ الكبيرَ في ثوب حياتكِ بموسيقى ، لا تعزفها حياتي النحيفةُ كما الناي ، فأنتِ الملاكُ ، وأنا الملكُ الضلّيلُ الذي لا ينتظر ، من السماء ، أيّةَ معجزة !

لننظرْ إلى الجانب غير المرئي من الغيمة ، فلولا أنكِ رحلتِ دون كلمة ، ولولا أني تألمتُ ، لما كان هذا الجمُّ الغفيرُ من الأسى ، ولما كانت هذه القصيدة !

قسمة عادلة

افترقنا ، مثلَ قاربين ضربهما إعصارٌ غاضب ، فتهشمتْ الأغنيةُ ، تهرأ اللحنُ ، وسقطتْ الكلماتُ ، من على شفاهِنا ، وتحوّلتْ ، في الماء ، إلى أسماك .

لكِ الأمانُ ، الذي يجعل منكِ امرأةً يشعُّ من وجهها الفرحُ . لكِ الحريةُ بأجراسها ، ولكِ الطيرانُ ، الذي يمنحكِ شغفَ التخريبِ ، ويجعلُ منكِ طفلةً شاقةً تقلبُ القوانينَ ، تجذبُ البرقَ ليضربَ التقاليدَ ، وينسفَ سقف العائلة .

لي المرارةُ ، سرُّ الشِّعر وجوهرُه.
وهذه قسمةٌ عادلة !

سلالة الأسى

هجرتكِ لأنني ، حين انحدرتُ من الأزقة ، اصطحبتُ معي أنّةَ الناي ، ولمّا وصلتُ ، لم أُلقِ بأسلحتي ، ولم أتبرأ من البساطة ، فأنا من ذلك النوع النادر من البشر : أفرحُ بالقليل ، وأرتابُ من كثرةِ السعادة ، كما إنني لم أنسَ بحّةَ الحزن ، في أغاني الحانات الفقيرة ، التي ، وأنا أعجزُ عن الدخول إليها ، كنتُ أسمعها ..

كثيراً ما رفعتُ رأسي مستغرباً من رقّة الرايات ، ومن من رؤيتها ، فارغةً من أيِّ معنى ، فوق سطوح المباني. وكنتُ أحسبكِ مثلي ، مضطربةً من فرط الحقول في عيونِ النساء ، وحائرةً بجمال العصافير ، وهي تنقل الصباحَ ، من جهة إلى أخرى ، بعيداً عن رائحة الموت ، ودوي الانفجارات .
اعتقدتكِ مهمومةً بإيواءِ العطر الهارب من سياج الحديقة ، أو بهمِّ النملةِ ، التي أضاعت ثقبَ بيتها بين العواصف ، لكنني كنتُ واهماً ، فأنتِ أخرى ، امرأةٌ أخرى ليست من سلالة الأسى .

رأيتكِ ، مفجوعاً ، فقيرةَ القلب ، وكسيحةَ الخيال ، لا تملكين أجنحةً من اليأس ، كافيةً ، لإرباك التحليق والطيران ، وهذا مما جعلكِ ثابتةً في مكانكِ ، رغم طوافِكِ في البلدان وعلى الشواطئ ..

الأعزل

لا أتذكر مرّةً ، مرّةً واحدةً ، نظرتُ إليكِ بغير نظرة المُحب ، فيما أنتِ غارقةٌ في اللامبالاة غير عابئة بالشغف الذي يُشعل وترَ الروح بالاضطراب ، وكنت أفعل ذلك ، أفعل ما يليق بي من انبهارٍ ، لئلا يتحطمَ سحرُ المَلاك ، الذي نسجتُ بدلته من خيوط فكرتي عنكِ رغم أن حبي لم يرتبط بعاداتكِ ، بجمال وجهكِ ، بتقلبات المناخ العاطفي ، أو بألوان ثيابكِ .
لقد أحببتُ فيك شيئاً غامضاً ، لا أعرف ما هو ، ولم يزعجني أبدا أنكِ لا تعرفين شيئاً عن عبادتي للهواء ، الذي يفصلُ بيننا ، ما دامَ يحملُ فراشاتٍ ، لم يرها أحدٌ قط ، تنطلق نحوي ، مخضّبةً بأنفاسكِ ..

تمثال سيء الصنع

"
كفى بجسمي نحولاً، أنني رجلٌ
لولا مخاطبتي إياكَ لم ترني "
المتنبي

أحببتكِ بسبب حاجتي إلى الانتقال من الوجود إلى الكينونة . لم أفكر في الإغواء ، الذي ينطوي عليه جسدُك الفاتنُ ، لأنني أهملتُ حاجةَ جسدي ، بعد عدة تجاربٍ في الحسِّ ، كانت خائبةً ، لم تُعطني سوى التصحُّرِ ، ولم تأخذ منى سوى القوّةِ والإحساس بالزمن ، حتى أنني عندما التقيتكِ لم أعدْ أمتلكُ من مؤهلات غيرَ الظل ، فقد نحف جسدي بشكل لا يمكن فيه أن تريني ، إلا بهذا الهيكل الهش ، إلى حد التلاشي ، إلى حدِّ أن كلمةً منكِ أوقعتني أرضاً ، وتفتتُ كتمثالٍ سيءِ الصنع ، تمّ تكوينه من الغبار والحسرات .

عزلة الوردة

أنتِ التي ، تحتَ القصف ، وفي الحروب التي تنشبُ ، فجأةً ، بدون سببٍ ، تبحثين عني ، عن أشعاري المسفوحةِ ، كالدمع على خدِّ الزمان ، وعن عنواني الذي يقودكِ إلى المتاهة ، أنا القتيلُ المجهولُ ، مذ أولِ قرية اغتصبَ بساطتَها الغزاةُ ..

أحتاجُ يديكِ الصغيرتين .
أحتاجُ براري راحتيكِ التي قرأتُ فيها ، في صباح بعيد جداً ، مصيري الشائكَ ، فأفصحتُ عن لوعتي ، وعن قبلاتي .

في ما مضى كنتُ أهشُ الظلامَ عن شّعرك الطويل ، بالنجوم و بالفوانيس ، أحتضنكِ في العاصفة ، أصدُّ عنكِ الخوفَ ، و كنتُ أخضّكِ ، كلما داهمني الجزعُ ، مثلَ شجرة ، فتسقط عند قدميك الحافيتين مفاتيحُ أقفال حياتي ..

أفكرُ ، دائما ، فيكِ لأن ذلك ممّا يخصّبُ مخيلّتي ، ولأنه ممّا يكشفُ عن اللؤلؤة في داخلي ، فأتضوَّرُ من النوم داخل السهاد ، ومن مَسَام جسدي يضوع عطرُكِ .

أحتـاجُ كلامـكِ الـذي يعطـفُ علـى الصـمت ، ويبسـط الحريرَ علـى سرير الطمأنينـة ، وأفتقدُ فمكِ الـذي ينسج ثوبَ الرحيق ، قبلةً بعد قبلةٍ ، في عزلة الوردة.

أتخيـلُ ، فـي وحـدتي ، نوافـذكِ التـي ، مـن وراءهـا ، ترسـلين القـبلات والرسـائلَ ، وأهـيم فـي الحيـاة التـي ترسمينها في حديقة الخيال .

أفكرُ في أنفاسكِ : معيارِ البراءة ، وشبق الحواس .

أرقصُ من الوجدِ حين أفكرُ في شحوبكِ المكتنز بالحياة ، الـذي يحـوّلُ الحـبَّ إلـى ملعـب للمـلاك وللشـيطان ، ويتعتعني الشوقُ إلى عُريكِ الذي يطرد كلَّ وحوشـي ، وإلى إيماءاتِ جسدكِ التي ، كلما دخلتُ غابتكِ عارياً ، مجـرَّداً حتـى مـن العـري ، تـأكلني ـ بإشـارةٍ منهـا ـ وحوشي ..

أخاف أن تقولي : " أحبكَ "

أخافُ أن تقولي : " أحبكَ " ، دون أن تدعيني أسهرُ ، قلِقاً ، تحت ضوء القنديل المكسور : قلبي ، إذ لستُ معتاداً على السهولة ، ولا أطمئن للمطر الذي يهطل ، فجأةً ، قبل أن يضربَ البرقُ طبلَ السماء ، كما أن الحبَّ ، حبي ، لا يأخذ زينته الخارقةَ ، إلا بعد أن يتمرغَ في القيعان المالحة للألم ، إلا بعد أن يخنقني الحنينُ إلى أشياء غامضة ، وأؤمِنُ أنكِ تملكين مفاتيحها.

لا تكوني ليّنةً ، فلستُ عاشقاً متاحاً كالهواء .، ولا تفتحي بساتينَكِ أو ثكناتكِ ، عندما أقول : أحبكِ .

دعيني أتلوى وأسقطُ ، كشُعلةِ عودِ ثقابٍ في يوم عاصف ، لأن هذا ما يُجوهِرُني ، ما يكشِطُ أطيانَ آدميتي ، هذا ما يجعلني ناصعاً كحصاة تغسلها الأمواجُ ، مرة بعد أخرى .

أنا شعلةُ نار تلعبُ بمزاج الجهات ، بحثاً عن شكلها في كل ريح ..
أحبكِ مثلي : شاسعةً كالليل ، عصيةً على الفهم ، وبعيدةً عن أيدي التداول ، كشفرةِ الكون !

ثانيا ـ

أسطورة سارق الكتب

(من أساطيري وخرافاتي)

" مُباركٌ هو الحبُّ الذي ليس فيه طرفٌ مالِك وآخرُ مملوك ، كلاهما مخلِص للآخر . . "

بورخيس

ألي صديقي القاص الرائع **عزيز الشعباني** ، في ذكرى طيراننا الخرافي بين أرخبيلات الحبِّ الخائب ، الغناء والأساطير الشخصية ..

" إنجيل ملفق " **

1- أشكركِ أيتها المرأةُ ، لقد كنتِ ، دائماً ، توأمَ الأسى المحفوفِ بالحنان .

2- قل : " مرحباً " للشعر الذي يمنحك جرعةً نقيةً من الأسى ، ترنمْ بعزلتك الفريدة : عزلةُ الندى عن الماء ، وقلْ :" شكراً " لكل أولئك الذين عندما خنقوا أحلامَك ، حفّزوك على ابتكارِ أحلام أخرى لا تموت .

3- في المدن المنكوبة هناك ، دائما ، دمعةُ امرأة عاشقة ، لن يعثر عليها أحدٌ ، و لن تسيلَ مع مياه التاريخ ، لأنها جوهرةٌ تأنفُ من أن تمسها أيدي التداول ..

4- في كل الحروب هناك نملة تجرجر حبةَ قمح ، هي كلُّ ذخيرتها في هذا العالم ، وتتلفتُ حائرةً ، بحثا عن ثقب في الأرض كان بيتَها ، بعد أن مرّتْ شاحنةٌ محمّلة بالجنود ..

5ــ جميع القتلى يشربون معي القهوةَ في الغرفة ، يُدخّنون من سجائري ، ويصعدون على ظهري كالأطفال ..

6ـ أعرفُ أن الماءَ يجري في مخيلة السمكة ، حتى وهي في طريقها إلى الموت ، عالقةً بطرف الصنارة ، وأعرف أيضا أنّ الجلادين ، مهما كانت طريقةُ النباح ، يلعقون عظامَ الضحايا بلسان كلب واحد ..

7- ينبغي أن نشكرَ الجروحَ التي تمنحنا ألماً كريماً ، أن نحتفي بالصرخة السامية التي تجرحُ الحنجرةَ ، وبالحبّ الخائب الذي يقدحُ فينا شرارةَ الشِّعر .
ينبغي أن نبجّل المرأةَ ، تلك المرأةُ العابرةُ كالبرق ، لكنَّ وجهها يشرق أبدا في الذاكرة !

8- لا تجرحِ المرأةَ ، ولا الصباحَ !

9- نبيلةٌ هي المرأةُ ، التي تدلّكَ الطريقَ إلى قلبها ، ولا ترافقكَ . فخامتُها كإنسانٍ ستتجلى لك واضحةً ، عندما تصلُ ، فتجدُها مشتعلةً حباً ، وبانتظارِكَ ..

10- لا أحد يعرف كيف تفكِّر المرأةُ التي خنقتْ حبَّها ، إلا الرجلُ الذي كان لها بمثابةِ الهواء !

11ـ خلفَ كل باب تنتظركَ عشتار لكنكَ ، دائما ، تطرق البابَ غير المناسب ..

12ـ لا تحوّلْ هزيمتكَ في الحبّ إلى مناحة ، بل إلى إنشاد :
إن لم تفلحْ وخذلتك الحنجرةُ ، تمسّكْ بثروتكَ ، بمفتاحكَ الشخصي الذي له ينفتحُ بابُ الكنز ، وتقدّمْ بهدوء إلى

النافذة ، ثم انحنِ للموسيقى يعزفها عنكَ ، بحنجرتِه الذهبيةِ .. المطرُ .

13- هكذا هو الحب : أن نعيش بخفَّةٍ ، وأن نخلّف - بعد أن ننهارَ ، من تواتر الطعنات - أيَّ شيء ، سوى ريش تحليقنا الأبيضِ . سنكتشفُ ، بعد أن نختفي ، أن ليس ثمة فضاءٌ ، رغم أنَّ ما فعلناه كان يفوق الطيرانَ .
هكذا هو الحبُّ : أن نكون غريبَين ، بعدَ كل ذلك العناق الطويل ، الطويل ..

14ــ افركْ عن روحكَ صدأَ الحب العابر ، غيرِ المغسول باللهفة ، ولا بشمسِ القلب ، الذي لا يسمحُ له النايُ بالمرورِ من بين ثقوبِه :
لا تخلطْ الدرَّ بالفحم .. !

15- هناك دائما مَن يحبكَ ولن تراه إلا إذا رفعتَ رأسكَ ، وخرجتَ من المكتبة ، من المنطق ومن التجريد ، إلى الشارع ، معتنقاً الخيالَ كحقيقة عُظمى ، حيث لحظتَها تضعُ يديكِ في جيوبك ،فتعثرُ هناك على يدين حميمتين تتأهبان لاستقبالكَ ..

16- أولئك الذين تستعيدهم مع كل أغنية ، الذين اقترحوا أنفسَهم ملاذاً ، أهلاً وحباً ، ثم ركبوا أوّلَ حافلةٍ قادمة من جهة الحياة ، وتركوكَ تُدخنّ كلماتِهم ، بدلاً عن السجائر ، أو تشربُ خمرَ عواطفهم المغشوشة ، وتترنحُ بين طرق النسيان .

قساةُ القلوب . الذين ـ بعد أن تعافيتَ من جروحِهم العميقة ـ اكتشفتَ قدرتَكَ العجيبةَ في أن تكون ، أبداً ، مريضاً بهم ..

17ـ أنا خائب ، فلِمَ لا أحوّلُ خيبتي إلى وقود شِعري ، يدفعني إلى الابتكار : أن أواصلَ حياتي بهذا القليل من الحزن المشحون بفرح الكتابة ، أو بفرحِ أنْ أكونَ جالساً ، في زاوية نفسي ، أفكرُ في لعبة المصائر ، بثقةِ مَن يُدرك أن ما يقوم به هو وضعُ قَدَرِه على المحك ، بغيةَ إفراغِه من قيمته ..
الفنُ أنبلُ الأقدار !

18ـ سقط المصباحُ اليدويُّ من يدِ القمر ، وتهشمتْ معه قلوبُنا في ظلام العالم ..

19ـ في العاصفة ، وحدَها ، يتعرّف الطيرُ على شكل جناحيه..

20ـ لا مبيتَ إلا في العاصفة ، عندما الأمانُ هو الريحُ .

21ـ تتكررُ الينابيعُ في الصحراء التي نحبُّ ..

22ـ في التكرارِ يفقد الألمُ شخصيتَه ..

23ـ افتحْ نوافذَك لكل الرياح ، أملاً ، بالعثور على تلك النسمة النادرة التي يكتنفها الغموضُ ، والتي يؤلّف نبضَها إيقاعاً غريباً عن قلب الهواء

24ـ في تلك اللحظة التي يكتشف فيها الشاعرُ أن لا مستقبلَ ينتظره ، في لحظة الوعي تلك يكون قد حاز على المستقبل ، وتجاوزه إلى ما وراء الزمن ..

25ـ واصلْ الجلوس في الداخل ، حيث يمكن قطفُ جوهرِ الصرخة ، وبرق صداها ..

26ـ الشِّعرُ عملة نادرة ، كالدموع النظيفة ..

27ـ تلك المرأةُ التي رأيتَها بشكل عابر ، من خلف نافذة حافلة ، قبل أعوام طويلة ، و تلقيتَ جرعةً مركَّزةً من الأسى الشفاف ، الذي ينضح به وجهُها ، آه .. ذلك الأسى الذي سوّدتَ الأوراقَ ، نقّبتَ في الكتب ، وجلستَ في صالات السينما ، بحثاً عنه .
ذلك الخطرُ المُسالمُ ، شُعلةُ الشِعر ، ودخانُ الطيران بين تقلّبات مزاج الحبيبات !
هيهات . لا يهبطُ الملاكُ إلا مرة واحدة : تلك هي حكمةُ الجمال ، الجمالُ الذي لا يزول !

28ـ ربما زقزق عصفورٌ ، وهو يمرُّ مُسرِعاً فوقَ رأسكَ ، ليؤكدَ لكَ أنكَ ما زلت إنساناً ..

29ـ حاولْ جمعَ ما أمكنَ من الصباح في جيوبكَ ، كي تحافظَ على شعور غامض بالبهجة يجتاحكَ الآن ، كما يفعل المطرُ ، وأنتَ تنظرُ من النافذة ، فترى إليه ، وهو يكنس نشارةَ الليل من على أرصفة الشوارع ..

30- هكذا هو الشِعر !
تجلسين خلف النافذة ، وتطلقين العنان لجناحيكِ ، غير المرئيَيْنِ ، كما لو كنتِ الحمامةَ المعجزةَ : تلك الحمامةُ التي ، من شجرة إلى شجرة ، تعيدُ ابتكارَ الحب على هيئة بستان أو غابة ..

31- أنا مثلُك ، أيها الغريبُ : أشرحُ لرئةِ الهواء فوائدَ أنفاسي ، أطردُ هواءَ النعاس بغيةَ أن يحافظَ السهادُ على أناقته ، أُلقي إلى الهاوية بالمفاتيح ، وأكسرُ الأقفالَ بضحكاتي ..

32- اصنعْ من أعدائك ملهِمين . ضعْ ما يقولونه تحت مطرقةِ الابتكار ، واضربْ كمُعلِّم .
وحدكَ مَن يبتكر الشرارةَ ، التي تُشعل النارَ في قش القدر !

33- المجدُ لأولئك الذين درّبوني على الحنظل ، وأشركوني في اللعبة مع حافزِ الملاك ، ثم ملئوا جيوبي فراغات ، مدناً ، نساءً وأوطاناً لم تُخلقْ بعدُ ، من أجل أن أكون التفاحةَ التي توقظ نيوتن من غفوته ..
الغامضين ، الذين لم يرهم أحدٌ ، لفرطِ جمالِهم !

34- استمتعْ بما بقيَ من غناء يفتحُ البابَ السريَّ للروح ، ولا تنتظرْ أن يشاركَ أحدٌ لوعتَك الغامضةَ ، أو

فوزَكَ ، أو نجاتكَ من السقوط في السهولة : دعْ أحزانكَ تتجولُ معكَ في خوابي نفسكَ الضالة أو المؤمنة ، ولا تلتفتْ . امرأةٌ ما أو صديق : هناك دائما مَن يَفهمكَ ، أو مَن يقبلكَ على ما أنتَ فيه ، فلا تقنطْ !

35- العبُ مع حياتي التي أعرفُ جيداً أنها لم تعد حياتي ، لكنْ ما من حيلةٍ أو حلٍّ ، إذ لا أعرف أحداً في هذه المدينةِ ، التي يسكنُها أهلي وجميعُ أصدقائي .

36- كنْ خَطرا عليكَ ، قبل أن تكون شاعرا يبحثُ عن لغة عاصفةٍ . إذا قررتَ أن تخترق النارَ ، في الجو العاصف ، فخذْ معكَ عاصفتكَ الداخلية .
إذا صفعوك على خدك الأيمن ، فاصفعْهم .
أما إذا صفعوك على خدك الأيسر فلا تردْ : اصفعْهم .. أيضا !

37- عشْ غريباً مُضاعَفاً ، فليست العائلةُ ، وحدَها ، مَن يراكَ طائشاً ، ولا النظامُ : هناكَ الألمُ نفسَه ، الألمُ الذي تلعبُ به ، تدحرجُه مثلَ كُرةٍ وتركله بأقدامِكَ ، ثم تدخلُ المغارةَ ، كأيِّ نبيٍّ مخذولٍ ، وتبكي ..

38- عندما لم يعد ثمة قلبٌ يحتويه ، تخلّى عن شرطِه الإنساني ، وانتشرَ كالرماد ، في ذروة العاصفة ..

39 - الذين ، حين جرحوكَ ، نزفتَ قلبكَ ، لماذا حين جرحتهم ، نزفتَ قلبك أيضا ؟!

40- أشكركَ أيها الحبُّ : لقد هدَمتني كسياج ، ثم أعدتَ بنائي مثلَ قلعة ..
أشكركَ أيها الخيالُ : لقد آخيتني مع الذهب ، وملأت جيوبي المثقوبة بُلداناً وقارات .
أشكركَ أيها الشِعرُ : لقد ساويتني مع الريح ، وأريتَني كم كنتُ ثميناً ، كمفتاحٍ ترتعدُ منه الأقفالُ .
أشكركِ أيتها المعرفةُ : لقد صنعتِ مني غريباً تأوي إليه الألفةُ ، وينتحب بين ذراعيه الملاكُ !

**** العنوان " إنجيل ملفق " استعارة من عنوان كتاب لبورخيس**

أسطورة قابيل وشقيقه هابيل

على سياج الحانة صفٌ من الغربان ينتظرُ ، فيما قابيلُ وهابيلُ يتبادلان الشتائمَ ، ويضربان بعضَهما البعضَ بالقناني وبرمي الكراسي ، غيرَ مكترثَين بما سيقوله التاريخُ ، أو بما ستكتبه الأديانُ .

امرأةٌ ما
تلوّح لي ، من خلف زجاج النافذة ، متوسِّلةً أن أخرجَها من هذه القصيدة ، بسلام !

موسيقى تحت المطر

كانت السماءُ ترتدي الحِدادَ ، والمطرُ يهطلُ بغزارة . أنظرُ إلى الناس تهرع بالركض ، في كل اتجاه ، بحثاً عن ملاذ يمنحها الأمانَ من غضب العاصفة ، عاصفتَكِ بالتأكيد ، التي تضربُ بقسوةٍ طفوليةٍ ، وتجتاح كلَّ شيء حتى القلب والروح ، في مثل هذا الوقتِ من الشتاء .

لم أكن أنتظر أحداً لكنني ، تحت ضغط الاشتياق ، اتخذتُ هذه العادةَ : أقفَ في ذلك اليوم ، من كل عام ، مبتلاً بالدموع ، في المكان الذي كنا نلتقي فيه ، في ما مضى .

كنتُ ـ في كل مرة ـ أرى إلى امرأةٍ ، هي دائما نفسُ المرأة ، تقف على الرصيف المقابل : امرأةٌ يجعلها الضوءُ الشاحبُ والضبابُ تُشبهكِ تماماً ، بل ربما هي أنتِ مبتلةً بالبرد وبالوحل ، ومشعّةً ، مثلَ شعلة ، تحت ضربة البرق ، تقفين بانتظاري ، أو بانتظاره هو ، هو الرجلُ الذي لم يأتِ إلى الموعد ، مثلما فعلتُ ، في مثل هذا اليوم ، قبلَ سنوات ..

الحب الذي يحيي الموتى

تـذكرتكِ اليـومَ ، وتـذكرتُ العصـفورَ الـذي وجـدناه ، مطروحاً بإهمالٍ ، على العشب ، تحت الشجرة التـي كنـا نحتمـي بكثافـة عريهـا ، كلمـا أشـرق بـرقٌ يـوعزُ بهبـوب العاصفة ، أو كلما ضغطتْ حاجتُكِ إلـى التدخين ، وإلـى الغناء .

اعتدتُ ، كلَّ يوم ، على الاستيقاظ بشعور مَن عاد من كل المعارك خاسراً ، ولم يبق صدعٌ إلا ورسمَ وشمَه علـى الهيكـل العظمـي لحيـاتي ، لكننـي تـذكرتكِ حالَمـا استيقظتُ ، لأنني شعرتُ بالزائر ، عصفورُك الوفي ، وهو يخفق بجناحيه قربَ النافذة ، فأيقنتُ أنكِ ـ بعد سنوات طويلة من ذلك الفراق الشاق ـ تفكرين فيَّ هذا الصباحَ .

قديماً ، ذات يوم ، كنا قد خرجنا من اللعب في غابة جسدينا مضمَّخَين بالعرق ، بالتبغ ، وبالفرح الغامض ، الذي يلي هذه التسليةَ المحفوفةَ ، دائما ، بالمخاطر ، وكان الانتشاءُ على أشده عندما انحنيتِ ، في ذلك النهار المشمس ، بضحكتكِ الطفولية :
ـ " سأريكَ كيف أن الحبَّ يُحيي الموتى "
وحملتِ العصفورَ بكفيك الواثقتين إلى صدركِ ، ثم همستِ له بشيء ما ، وقذفتِه ، بقوة ، إلى السماء ، فطار.

حارس الأسى

لم يتبخر من رأسي المنامُ ، الذي رأيتُكِ ترقصين فيه ، من حولكِ شعراءٌ حزانى ، وفرقةٌ من العازفين على سطح سفينة الطوفان .
كانت هناك موسيقى تتسرب بهيئة حسرات من أمواج البحر ، وأنتِ ترقصين ، حتى نفدتْ المتعةُ ، بدأتْ الحقيقةُ بتقديم عروض عواصفها ، وحلّ الليلُ بأمتعته الثقيلة ، فسقطتِ بين ذراعي : رأيتُ في وجهكِ كلَّ النساء التي رأيتهن في السينما ، وتخيلتُهن في الكتب وفي الأساطير ، فيما جسدُكِ يتلوي كمطعونٍ ، فجأة ، داهمه الألمُ ..
كانت هناك أسماكٌ وفيرةٌ تتسلق قدميكِ ، فساقيك فبطنَكِ ، تصعد نحوَ الذروة ، ثم تسيلُ على خد العالم ، مثلَ دمعة كبيرة ، وتسقط حارّةً في صحن راحتيّ .
نظرتِ في وجهي ، وأنتِ تغمضين عينيكِ .

ـ " آه ، يا حارس الأسى "

تنهدتِ ، وأنا أشطفُ حياتي بدفء الدمعة ..

أسطورة الشاعر الغريب

مرّتْ سنواتٌ طويلةٌ جداً ، منذ آخر مرة اشترينا فيها قصةَ حب من المكتبة ، تلك المكتبةُ التي تفور فيها الأوراقُ من حرارة السطور . ساعتَها قلتِ ، بما يُشبه الرجاءَ : " أتمنى أن تفعلَها ، وتكتبَ عني قصيدةً ، ذات يوم " .

لم نكن نعرف أننا نعيش في قصيدة حقيقية ، لم يكتبها أحد مِن قبلُ ، لكنني كنتُ أتمتع بدم مراهق حار ، عندما قبّلتكِ في سوق المكتبات ، بين الممرات المكتوبة في القصص ، وبين الشهقات التي في الأغاني ، لأنكِ كنتِ المجنونةَ ، مجنونتي التي بحثتُ عنها ، طويلاً .

صباحَ أمس ، مثلَ طيف ساحر ، لمحتكِ تخرجين ، مع ابنتكِ ، من نفس المكتبة ، بعد أن اشتريتِ أحدَ كتبي منها . سمعتكِ تهمسين لها ، وهي تنظر بوجهكِ ، مفتوحةَ العينين من الدهشة :" لو عرف مؤلفُ هذا الكتاب أنني الآن هنا ، لخرّ صعقاً ، ولتبعني أين ما ذهبتُ " ، لكنني لم أحرّك ساكناً ، رغم عاصفة الاشتياق والحنين التي اخترقتني عميقاً .
تركتكِ تذهبين مطمئنةً ، راضيةً بمصيركِ ، فقد وفيتُ بالوعد ، واستلمتِ الرسالةَ .

كلُّ ما فعلته ، بعد ذهابك ، هو أن جمعتُ كتبي ، جميعَ كتبي : أخذتها معي إلى البيت ، وهناك صنعتُ منها وسادةً ، ثم وضعتُ رأسي عليها ، ونِمتُ ، لأول مرة ، بعد أن فارقتُكِ ، بسلام .

أسطورة العاشق المستحيل

هذه الأشياءُ التي أحتفظ بها ، أنقلها معي أين ما حللتُ ، أو أضعها تحت وسادتي حين أنام . لم تجذب أصحابي لمعرفة سرّها ، ولم يفكروا في كونها تمثِّلُ مركزَ الثقل في حياتي : خصلةُ شَعر ، قلمُ رصاص ، صورةُ امرأة مبللةٍ بالمطر ، ضاعت تفاصيلُ جسدها ، زرُ من أزرار قميص ، ملابس داخلية ، وردة ذابلة ، لكنها مبللةٌ بقبلات لا تزال دافئة ، مع ندبة أو خدش على جهة القلب ..

كنتُ الغريبَ دائما ، الغريبَ الوحيدَ بين همساتهم ، عندما أخيرا ، وفي لحظة ضعف ، أخبرتُهم عن السرّ .

لا أعرف كيف سمحتُ لنفسي أن أكون مُشاعاً بهذا الشكل المؤسف ، فهذه الأشياءُ الصغيرةُ ، العابرةُ ، والتي لا قيمةَ لها في نظر الآخرين ، كانت لكِ ، لكِ وحدكِ ، وهنا تكمن قيمتُها الكبرى ، فهي أدلّةٌ دامغةٌ على أننا كنا عاشقَين من طراز نادر ، فما حدث من انصهار وذوبان في الآخر ، لم يكن قد جرى في الواقع ، بل في منام ، لا يريد أن يصدقَّه أحدٌ ..

مرثية الصديق الذي مات حبا

كان مريضاً باللوعة ، ومصاباً بالاشتياق .
كان اليأسُ ، يأسُه ، يُلقي أسلحتَه حالَما يشرقُ وجهُكِ المبتسمُ ، فيما الحبُّ ، حبُّه ، يلفُّه بضبابٍ غيرِ مرئي ، كأنه ـ إضافةً إلى الأبّهة والسحر ـ طقسٌ سريٌ لحمايته ، أما الحزنُ المطليُّ بالمرح ، فكان يجعله أرفعَ مكانةً من أن يموت مِيتةً عاديةً كالآخرين ، في بلاد تدعو الناسَ إلى حفلة الهلاك ، فيلبُّونها ، ليأكلوا زادَ الغصّة ، من مائدة واحدة ..

كان العشقُ قد حوّل لونَ بشَرتِه ، إلى تلك الصُفرة التي تسبق الهلاكَ ، وكان رفاقُه يفسّرون مشيَه ، أثناءَ النوم ، على أنه محاولةٌ منه للامساكِ بروحه المحزونة ، التي تفرّ من سحر المرأة ، التي وقع في شراكِ جمالها ، دونَ فائدة .

كان يجلس في ظِلال جسده الهزيل ، ليستريحَ من ديون الحب ، التي لم تُبقِ عاطفةً كافيةً لديه لتسديدَها .

الساحر

ظهرت عليه أعراضُ سحرِ الحبِ متجليةً بشكل واضح ، خاصةً عندما صار بإمكانه أن يأسرَ الفراشاتِ بعينيه ، لتبقى معلقةً في هواء أنفاسه ، التي تسقي الحديقةَ ، كما أنه بحركة من رأسه تمكَّنَ ، ذاتَ مرة ، أن يعيدَ الأوراقَ المتساقطةَ من الأشجار ، على العشب ، إلى أغصانها ، إضافةً إلى ذلك ، ولعدةِ مراتٍ ، كان يهش العصافيرَ المرسومةَ على القمصان ، بحركة من يديه ، فتطير.

كان يجمع الزقزقاتِ المنسيةَ على الثياب ، يخلطها بهديل الحمام ، مبشِّراً بموسمٍ من الموسيقى ، يأتي مصحوباً ببحّةِ ناي .

لكنّ ذلك لم ينفعه في لملمة روحه الضائعة ، التي تفرّقتْ في الحانات ، في الحدائق ، وبين مفترقات الطرق ، فقد كان سيّءَ الطالع : لم يتمكن أن يعيش مع المرأة التي أحبها ، بقلب يُتقن الغوصَ حتى قعر الألم .

ثمة مَن يقول أن حريقاً من الشوق التهمَها ، وهو يترنم باسمها ، فتحولتْ إلى دخان ، ارتفعتْ إلى السماء ، واختفت بين السحب ، فيما زعم آخرون أنه ما إن جرّب أن يرفعَ صوته بالغناء ، تحت شباكها ، ذات وجد ، حتى تعتعها السُكرُ ، فترنحتْ وسقطتْ ، ثم نبت الريشُ على جلد هواجسها الملتهبة ، فتحوّلتْ إلى حمامة بيضاء ، وطارت ..

أعجوبة العجائب

إلى رشيد وحتي

عندما شاع الخبرُ : أنكِ عصيةٌ على التناول ، غامضة ، ولا يمكن الإمساكَ بلمحة ، لمحةٍ واحدةٍ ، من جمالكِ ، وأن الرسامين ، النحّاتين وروّادَ الخيال ، عجزوا عن تصوركِ ، وأنَّ كلَّ مَن جسّدكِ في صورة ، في أغنية ، أو في تمثال ، خرّ صعقاً من الدهشة ، إذ سرعانَ ما تتحرك فيه الحياةُ ، فتخرجين من الحجر ، دون أن يشعرَ ، ودون أن يتمكن من الإمساك بكِ .

عندما وصل خبرُ إعجازِكِ فكّرَ الناسُ في اصطيادكِ ، بأن نصبوا مرايا كثيرةً في كلّ مكان ، في الشرق والشمال والغرب والجنوب ، وعند النوافذ والأبواب والمداخل والممرات والشوارع ، ثم انتظروا ظهورَكِ ، ولم يخطر لهم أنكِ كنتِ بينهم ، تنظرين بإشفاقٍ إلى التوتر الذي شلّ المدينةَ بأكملها ، وهذا ما حفّزكِ على أن تكسري التوقعات ، وأن تكوني أعجوبةَ العجائب ، فظهرتِ ورأوكِ : كلُّ واحد رآكِ في مرآته بشكل ، وكانت المفاجأة أنكِ لستِ غريبةً عنهم ، فكلُّهم يعرفونكِ ، وكلُّهم شاهدوك في أحلامهم ، كتبوكِ في أشعارهم ، وترنموا بجمالك في أغانيهم ، لأنهم كانوا بحاجة إلى أسطورةٍ تناغمُ حاجتَهم الداخليةَ ، فخرجتِ من كل مرآة ، مشيتِ عاريةً أمامهم ، ولم يتحرّكوا قيدَ أنملة ، فقد صعقهم النورُ ، نورُكِ الذي صنعته مخيلتُهم ، ولم يعودوا إلى حياتهم ، إلا بعد أن اختفيتِ ، إلا بعد أن صاروا يطيرون في الهواء ، كالمجانين ..

دليل الصحراء

وُلدتُ ، ورموني أهلي إلى النهر في سلة . كان يجب أن أقع في يد امرأة أكبرَ منكِ ، كي أكون ابنَها ، كما في السيناريو ، لولا أنني قابلتكِ ، على صفحة الماء ، تسبحين عاريةً ، فوقعتُ في حبكِ وكبرتُ ، فجأة .
تعرّفنا على جسدينا مبكِّراً ، حتى تهرأتْ الرعشةُ ، فضبطونا نسكن معا في تفاحتَي صدركِ .
كان أبوكِ يبحثُ عني ليذبحني ، لكنه فضّل أن أتعذب بالحبّ ، عندما سمع نحيبكِ ، فنفاني بعيداً ، إلى صحراء خياله .
كان الملاكُ الموكَّلُ برعايتي يبكي ، وأنا اغني ، فقد كان عليه أن يخترق الزمن ، وأن يعيدني إلى البداية : أولدُ ويرمونني أهلي إلى النهر في سلة ، ثم تبدأ قصة تعرفين نهايتها ، لكن ما لا تدركينه هو أنني الآن ، في هذه المتاهة مع شعبي ، أبحث عن رقم هاتفكِ في دليل الصحراء ، كي أغنّي لكِ عن لحظتنا في الوجد ، في الرعشة وفي الاشتياق ، وأنتِ تبكين ، ملطَّخةً بالرغبة وباللوعة ..

قميص يوسف

أتذكرُ تلك اللحظةَ النادرةَ ، عندما اختلستُ إليك النظرَ ، ورأيتُ ـ أنا الغوّاصُ ـ إلى اللؤلؤةِ تلمعُ ، لاهثةً ، في أعماق رغبتكِ : حدستُ أنكِ هشة جدا ، وفي درجة الاتقاد ، فانحنيتُ لأشربَ من الينبوع ، الذي تفور به نيرانُ مياهكِ ، والتي تنتظر زورقاً ، حتى لو كان عابراً ، كي ينقلها إلى الشاطئ ، لكنّ عطشي تردد عند الحافة ، فارتديتُ قميصَ يوسف ، ومضيتُ .

ما حصل بعد ذلك هو أنني طفتُ الزمنَ ، تمرّغتُ بأطوار جسدي وبرعشته ، وعشتُ بقية حياتي ، مع جميع النساء ، محاولا أن أخلع القميصَ ، وأن استعيد تلك اللحظة التي لعبتْ بمصيرَيْنا ، وافترقنا إلى الأبد .

المخلّص

الرجلُ الذي ظهرَ في الأفق ، حسب النبوءة ، وتظلّله غمامةٌ : وجهُه كالقمر ينصع بالنور ، وأقدامُه تمشي على حبل سرّي في الهواء ، فلا يتأثرُ بحرارة الرمل ، ولا بالأفاعي أو بالشوك .
الرجلُ المنتظَرُ ، المخلِّصُ ، الذي انتظرناه في كل القرون ، والذي يستطيعُ ، وحدَه ، أن يأخذنا من التيه إلى مدينة السلام .
الرجلُ الذي وصل ، والذي رفع رأسَه متعجّباً من الرايات ، ومن الأهازيج والهتافات والأغاني .

الرجلُ الذي نظرَ إلينا بإشفاقٍ ، نظرَ إلينا بعينين حزينتين ، وهزَّ رأسَه ، ثم واصل طريقه غير عابئ بشيء !

أسطورة الملكة

أتـذكَّرُ أنهـا تركتنـي أهـبطُ نحـو الهـوَّة ، وأقـبض ـ بـين حسراتها ـ على حياتي الضائعة .
كنا نائمَين . لا أعرف كيف حدث ذلك ، لأنني كنتُ ثملاً جداً .
" وجدتها .. " كدتُ أن أصرخَ ، لولا أنها أغلقتْ فمي ، لئلا أوقظَ الخوفَ ، وقادتني إلى أكثر أحلامي قوّةً ، فسقطتُ في الهاوية ، وفي المعجزة .
لم أخرج ، لأن الحريةَ أغلقتْ أبوابها ، ولم أدخل ، لأنها فتحتْ ذراعيها ، وأخذتْ بالرقص ، حتى طارت بي زوبعةُ جسدِها بعيداً ، فرأيتُ أبعدَ شمس ، وآخر نجمة .

أخيرا ، عندما هبطنا معا إلى نبع اليأس ، أو بحيرة الرغبة والسعادة ، خلعتْ ثيابها قطعة بعد قطعة ، ثم مشتْ ، أمامي ، متبخترةً كالملكة في عزّ عزلتها .
ـ " سأهدمُكَ بموسيقى جسدي "
قالت ، وهي تهتز ، من الوجد ، مثلَ سعفة ، ثم تبخّرتْ ، صارت دخاناً أبيض ، وتسللتْ ، عائدةً ، من مسام الحائط الذي خرجتْ منه !

مرثية عشتار

أحد أعراض وقوعي في الحب هو المشي تحت المطر ، دون أن أبتلَّ بقطرة ، الطيرانُ في الهواء ، ووقوفي جامداً كالتمثال ، رغم سقوط المدينة بيدِ الغزاةِ .

الرمحُ الذي كنتُ أمسكُه لم أَطعن به أحداً ، سوى قلبي ، لأنني كنتُ في طور آخر ، لا علاقةَ له بالقوة أو بالضعف : لست شجاعاً ولا جباناً .
هكذا جلستُ في الخراب ، لا أفعل شيئاً ، سوى أن أنظرَ إلى الألم ، وهو يتقدم نحوي حاملاً معه أمتعةً ثقيلةً ، هي الأملُ في أن أموت كأيّ عابر ، لا علاقة له بما يجري من حوله ، غيرَ مهتم بالربح أو بالخسارة ، لأن دموعكِ لم تتوقف عن الجريان ، حتى تشكلتْ بحيرةٌ كبيرة جدا من اليأس ، جلس الأعداءُ على ضفافها يشربون نخب انتصارهم ، ويلقون إليها القناني الفارغةَ، لتطفو ، مثلَ حياتي ، فوقها .

للحب وقت وللموت وقت

كنتُ الصديقَ الأنيقَ ، الذي لم تحفرْ الحربُ أنفاقَها في حياته بعدُ : أعطيتكِ نصائحَ في القراءة ، وخبرةً بائسة في مفاقمة المأزق ، أنتِ الموشكةُ على الوقوع في غرامي ، وأنا المخمورُ في الصباح ، لأن الليل كله لا يريد أن يفلتَ من أسْرِ اللؤلؤ ، الذي في داخلي ..

أتذكرُ ذلك الصباحَ الباردَ ، الذي طِرنا فيه ، فوقَ الغيوم ، على بساط الريح ، ولم نصل إلى أي مكان ، بسبب القصف المفاجئ ، وبسبب تمزّقِ خارطةِ بغدادَ تحت ضرب الصواريخ ، مما اضطرَّنا لأن نهبط ، لكن خوفَنا الحقيقي والأشدَّ كان من الحب ، الذي كان على وشك أن يفتح جبهته ضد هذا الدمار ، لذلك تلافينا الخوضَ في مياهه ، التي ركدت فيها أمطارُ صفارة الإنذار ، التي هطلت بغزارة ، وهي تُعلن عن موعد الدخول إلى ملاجئ لا وجودَ لها ، ولم نهتم ، فذهبنا لنطوف فوق بحر المكتبات: اشترينا كُتباً ، من بينها روايةٌ :" للموت وقت وللحب وقت " أجبرني السُكرُ على نسيانها في الحافلة ، وأجبرك الرعبُ على عدم قراءتها ، والحصارُ على بيعها .

أتذكر جيداً حين رافقتُكِ، آخر مرة ، إلى بيتكِ ، ورجعتُ وحيداً وممزَّقاً ، بين الحب والحرب ، إلى الفندق ، ثم دخلتُ الغرفةَ ، وهناك بكيتُ خجَلاً من الشخص الثاني ، الذي ظهر أمامي في المرآة ، حتى أنني تقيأتُ أحشائي بين يديه .

أسطورة السائر في نومه

بعد أن تحوّلَتُ إلى رماد ، تنقله الريحُ ، لتسدَّ الحاجةَ ، كلما انطفأتْ حربٌ ، وكلما خفّ الحماسُ في بدن حريق ما ، وبعد أن تبخّرتْ المرأةُ التي أحبُّ، وجدتُ نفسي أزحفُ نحو شيخوختي ، ملطَّخاً بالأسى ، وغارقاً في ضباب النعاس ، لكنَّ تآكلَ الذاكرةِ ، الذي بدأت أعاني منه ، ويقلقني دائما ، لم يُوقِفْ ذكراها عن اجتياحي ، حتى وأنا أتحصّن خلفَ شبكة غراميات متشعبة ، إذ أنها تنهارُ ، سرعانَ ما تنهار، وتنكشف هشاشتي ، حالَما أكتشف أن هناك امرأةً ، في الجوار ، تُشبهها أو تحمل اسماً قريباً من اسمها . .

هكذا ، دون إرادة مني ، كنتُ أتخلى عن وسائل دفاعاتي ، عن كرامتي و وعي ، وأتقدم نحوها محاولاً ، بالمرور إلى جانبها ، أو بالتحدث إليها بكلمات نصف واعية ، أن أستردَّها ، تلك المرأةَ ، التي تبخرتْ كالدخان ، من حريق حياتي .

أسطورة التائه بين طرق النسيان

ظلَّ يحتفظ بنظره معلَّقاً بوجهِ امرأةٍ تقفُ أمامَه . لا شك أنه رآها في مكان ما ، لا يذكر أين . هذا ما يحدث له كثيراً ، عندما يلتقي وجوهاً يعرفها ، غيرَ أنَّ أصحابَها تسّربوا ، من ثقب ما في الذاكرة ، فأطاح النسيانُ بأسمائهم ، لكنَّ هذا الوجهَ ، وجهَها ، كان عصياً على أن يكون عابراً ، وعندما حاولَ جاهداً أن يستعيده انبثقتْ ، في ذاكرته ، طُرقٌ ، كلماتٌ وأغاني ، أوشكتْ أن تنيرَ الطريقَ فيعرفها ، كما في تلك السنوات الصافية ، إلا أن ما لم يكن في الحسبان لابد أن يحصل ، كما هي العادةُ ، إذ ترجلتْ المرأةُ من الحافلة ، فجأةً ، وتركتهُ ، مرة أخرى ، يترنح ثملاً في الطرق الهائلة ، التي عبّدها ، من أجله ، النسيانُ ..

أسطورة الرجل البديع

كان يحبكِ ، طافياً بمركبه الهشّ ، فوق مياه الزمن ، غيرَ عابئ بالعوائق أمامه ، لكنكِ واضبتِ على شكوكِكِ، ، قلقةً ، وقد أقفلتْ الريبةُ بابَ قلبكِ ، بسبب ذلك الانحراف الجميل : الحَوَلُ الطفيفُ في سواد عينكِ اليسرى ، مما أفقدكِ حافزَ الطيران معه ، حتى آخرِ تخومِ الحب ، وهو مما جعلكِ تقفزين من سياج محنةٍ لا وجودَ له ، إلى سياج محنة حقيقية ، بحثاً عمّن يُخرجكِ من هلعِ أنكِ لستِ امرأةً جميلةً ، أو لستِ من طراز هذا الرجل الواثق من صلابته ، دون أن يخطرَ لكِ أنه هشّ مثلُكِ ، بل هو أكثرُ هشاشةً مما تتوقعين .

كنتِ تبحثين عن الإشفاق ، بابتكارِ قصص عن حصار عائليٍّ لم يحصلْ ، وتطلبين منه خياطةَ جروحٍ لا وجودَ لها ، وكان يحبُّكِ كما لو أنكِ العشبةُ الخالدةُ ، أو المعجزةُ التي ستُخرجه من عبث الوجود ، ولم تدركي أنكِ تمشين ، على ضوء هلاكِكِ ، إلى متاهة الطيران بين العواصف .
لم تعرفي أبدا أن ذلك الرجلَ ، الذي خذلتِه فجأةً ، دون أسباب مقنعة ، آه .. ذلك الرجلُ البديعُ ، كان ينظر إلى حَوَلِكِ كمأثرةٍ للجمالِ ، وأنه يرى في عينيكِ ، في سوادِهما ، سماءً أخرى ، لهذا الكون ..

غبار التساؤل

عندما وقعتَ في حب امرأة ، رأيتها في منام ، ومنحتَها مَهراً نادراً ، لا يساويه إلا الهلاكُ .
عندما أخذتْكَ إليكَ ، ولم تفرّ منكَ ، إلى أن منحتكَ آخرَ نبضة في ارتعاش نهديها .
عندما قابلتَها مع الجوهر ، وغادرتها مع عبثِ الحياة ، فعدتَ خالياً ، إلا من غبار التساؤل .
عندما تمزقتَ من اليأس ، طويلاً ، بانتظار ولادةٍ ثانية .
عندما عشتَ مع الخيال ، مثلَ نطفة ، في رحم الكتابة .

هكذا تعافيتَ من العافية ، وتَجوهرتَ بالحب وبالألم ، كأنكَ جُبلتَ على هذا الذي لا اسمَ له ، لكنكَ أسميتَه العيشَ سليماً من الوهم ، من الفرحِ المغشوشِ ، ثم عانقتَ مصيرَكَ كنبيٍّ ، أو كشيطان ، لا وصايةَ له على أحد .

أن تكون شاعرا

هل فتحتَ صفحةً من كتاب ، فابتسمتْ بوجهكَ امرأةٌ ، ولاحقتكَ ابتسامتُها المشعةُ ، من صفحة إلى صفحة ، ثم ـ حين أغلقتَ الكتابَ ، مرتبِكاً من هذه المعجزة ـ خرجتْ منه ، مثلَ موكب خرافي طويل من النساء ، لتجلسَ مكانكَ : تفتحُ ـ هي ـ الكتابَ ، فتبتسم أنتَ بوجهها ، من صفحة إلى صفحة ، مذهولاً ، ومتعدِّداً مثلَ أطوارِها ؟

هل هاجرتَ وراءَها إلى هناك ، ثم عدتَ ، خالياً منها ، إلى هنا ، وعلى كتفيكِ حفنةٌ من غبار اللؤلؤ ، و تنهداتُ النجوم ؟

هل شاركتَ الملاكَ نحيبَه الطويلَ ، أو سكرتَ مع الشيطان ؟
هل رأيتَ المطلقَ في قلب امرأة ؟!

هل سجدتَ للحب ، الذي يُعلِنُه الهديرُ الذي يجرف اللؤلؤَ ، وهو ينحدر مع موسيقى نهديها ؟
هل جُننتَ من هذا ؟!
هل داهمكَ اليأسُ ، ولاكتكَ الحيرةُ بأسنانها اللامعة ؟

هل رميتَ رأسكَ من أعلى الجبل ، ووقفتَ قروناً ، في الأسفل ، بانتظارِه ؟

كأس سقراط

لعلكَ وصلتَ إلى الحد الذي تنكسر فيه كلُّ راية :
لعل هذا ما تمنيتَه ، مبحِراً على متن باخرة من الأفكار ومن الكتب .
ربما آنَ أنْ تشربَ كأسَ السُّم ، وأن تنتشي بفوزكَ الوحيد ، فقد تمكنتَ من حلِّ لغز الوجود . عرفتَ أن لا لؤلؤة كالوعي ، ولا انتصارَ كالقلب اليقِظ ، ولذلك تركتَ المفتاحَ الضائعَ ، مفتاحُ كلِّ كنز ، مرمياً بين قدميكَ ، ثم جلستَ على كرسيك الهزاز ، ونمتَ ..

قافلة المعنى

أمسكتَ باللؤلؤة ، ورميتَها بحثاً عن لمعانكَ الداخلي :
كان ذلك عندما أيقنتَ أن الحبّ خصّب فرحاً غامضاً فيكَ ، فمشيتَ وحيداً ، واضعاً إحدى يديكِ في يد الريح ، غيرَ عابئ بشيء ، فيما يدُكَ الأخرى تجرّ خيطَ طائرة ورقية ، لا يراها أحدٌ سواك ..
ها أنتَ تترنم بأغنية شخصية ، كأنكَ تشدو قافلةً من المعنى ، لا تظهرُ في صحراء العالم ، إلا لمن تجرّع كأسَ النفي حدَّ المرارة :
احبكِ أيتها الجروح التي تصنع بحيراتٍ من الألم الكريم : الألمُ الشافي ، الذي يزرع في قلب المخذول وردةً ، ويمسح الغبارَ عن أكتاف الحزانى ..
أحبكَ أيها الضعفُ الذي يجلب معه القشعريرةَ ، تلك التي تُشعل في المرء حقيقةَ كونه لا يزال إنساناً ..
احبكَ أيها اليأس :
أنتَ المِنجلُ الذي يحصد كلَّ السنابلِ الفارغة ، التي يغرسها الوهمُ في حقولي ..

المهمّة

عندما تشعرُ أنكَ قد هُجِرتَ ، فتعيشُ منزوياً في الركن الأقصى من العالم ، معتقداً أنكَ لم تعد صالحاً للحب ، أن قلبكَ قد فقد توهجَه ، وخسرتَ نورَكَ .
عندما ينبجسُ ، فجأة ، وجهُ ملاك ، وأنتَ في عزلتكَ ، حاملاً إليكَ أمراً بإكمال المهمة ، مع قلبٍ آخر ، في روحٍ أخرى ..
عندما تكتشفُ أن القلبَ الإنسانيَّ ضيقٌ جداً أمامَ الوجود ، وأن الحريةَ رايةٌ لا تسقط بسقوط قلب حاملِها في لجة القنوط ..
عندما لا تعرف كيف تكتب بكلمات بسيطة عن أعجوبة الحب ، وهو يأتي ، محمولاً على ريشة الهواء ..

أسطورة الغريب

ذاتَ ليلة ، سأكون وحيداً ، في غرفةٍ شِبهَ مهجورةٍ ، إلا من الكتب واسطوانات الأفلام والموسيقى ، سأشُعل سيجارتي وأنا أنظر إلى الفيلم الأخير ، الفيلمُ الذي استغرق انجازُه عمراً بأكمله ، والذي يحفلُ بأماكنَ عشتُ فيها زمناً ليس بالقصير ، بمُدنٍ دخلتُها وخرجتُ منها كالغريب ، بحاناتٍ سكرتُ فيها حتى الصباح كعاشق مخذول ، وبتظاهراتٍ كنتُ فيها في المقدّمة كفارس من طراز قديم .
يستمر الفيلمُ ، وأنا أنظرُ ، أنظرُ فقط ، غيرَ مبالٍ بالصراخ ، بالضحك ، بالسخرية ، بالمديح وبالثناء . لن أحرّكَ ساكناً حين تمر مشاهدُ الفوز ، ولا حين تتوهج مشاهدُ الخسارة .

يندلق الماضي وتسيلُ مياهُه طوالَ الشريط ، فلا أُعير اهتماماً لزوارق الإنقاذ الورقية ، التي كنتُ أصعدها ونغرق معاً ، في ذلك التاريخ العاصف . سأصمّ أذني عن سماع أبواق الثكنات ، ولن أهتم لأخوَةٍ يوسفَ وهم يحفرون الآبار في براري حياتي ، وسأُجالِدُ وأمضغُ حنظلَ الصبر منتظراً لَقْطتي الخاصةَ ، اللقطةُ الذهبيةُ المتقنةُ التصوير ، التي لن تستغرقَ من الفيلم سوى ثانية ، ثانية واحدة أو أقل ، حين يظهر ، يشعُّ وجهُكِ على الشاشة ، ملتهباً كالشُعلة ، غامضاً كالحياة ، وعاصفاً كصرخة طائشة في طرق الليل . عندئذ فقط ، سأتنهد وأقول : " آه " .

" آه " الكُبرى ، الحقيقيةُ والصافيةُ ، التي لم يقلْها من قبلي بشرٌ قط ، تلك الـ " آه " الداميةُ ، والمغسولةُ بعمر طويل من الحسرات ، ثم أُغمض عيني بهدوء ، وأموت.

العشبة

هناك امرأةٌ تنتظرُكَ خلفَ الأبواب كلها ، بسيطةٌ كالماء ، لكنها عصيةٌ كالشِّعر النبيل ، وهناك كأسٌ منها ينتظركَ في كل حانة .

تمسّكْ بغربتِكَ ، عندما تسكرُ العاصفةُ بخمرة الطيش ، كما تتمسكُ الشجرةُ بأغصانها ، فليس الغبارُ على القدمين علامةَ عودةٍ ، وليس المفتاحُ علامةَ البيت .

سافرْ في كلِّ مطر ممكنٍ ، في كل خطرٍ أو في كل هواءٍ ، لابد أن تجدَ عُشبةً ترفعُكَ ، من أعمق جذوركَ ، إلى الهواء الطلق ، حيث تنتظر أن تضعَ ، عن ظهركَ ، كلَّ القرون التي حملتَ ، وتستريح !

أسطورة الحب الذي لا وجود له

كان يغنّي ، متألِماً ، من الحب الذي لا وجودَ له . يتذكرُ وجهَها ، تلك الصبيةُ ، وهو يطفرُ من أغنية إلى أخرى ، أو عندما يسمع باسمِها ، أو ما يُشبهه . يطوف حول جدران بيتها المتهدم ، مثلَ شاعر جاهليٍّ ، ويبكي ، غيرَ عابئٍ بالحقائق وبالزمن .

كانت صبيةً وقحةً ، من ذلك الزمان المُشمس ، تملك قلباً يطير بأجنحة لا مرئية ، فنتبعه إلى سماوات لم يرها أحدٌ سوانا ، وكانت أمُّها تضحكُ ، ساخرةً ، عندما تضبطنا نرمي على شباكها الوردَ ، أو نحلّق ، فوق سطحها ، بطائراتنا الورقية .

لم نكن مراهقِين ، ولا أتذكر كم كانت أعمارُنا ، لكننا لعبنا دورَنا كعشاقٍ بإتقانٍ نادر ، وكثيراً ما حدثت بيننا معاركُ طويلةٌ ومشاجرات ، بسبب قُبلةٍ كانت تُرسلها بيديها ، فنمدُّ أيدينا في الهواء ، ويزعمُ كلُّ واحد منا أنه قد قبض عليها ، فهي له أصلاً !

لم يترك لنا الزمنُ فرصةَ أن نكبُرَ ، لنكتشفَ أن ذلك كان وهماً ، إذ ذات ليلة لم يعد والدُها إلى البيتِ ، ولحد الآن ، فاضطرَّتْ الأمُّ ، إلى إنهاء قصة الحب الذي لا وجودَ له ، بأن غادرتْ ، مع حبيبتِنا ، إلى جهة مجهولة ، فلم نرها بعد ذلك ، أبداً .

أسطورتي الشخصية

أنا الذي سلبتْ لبي امرأةٌ صادفتها في أحد الكتب ، ولما حاولتُ أن أجدها في المكتبات ، دخلتُ المتاهةَ التي أخذتني ، شيئاً فشيئاً ، عن الكتبِ ورمتني خارجَها ، عارياً من كل معرفة ، مجرَّداً من القوة ومن الحَوْلِ ، كما قلمُ الرصاصِ !

أنا الذي بحثتُ عنكِ في الأديان ، في السينما ، وفي الأساطير ، ولمّا حصل وأن مسّني طيفُ جمالكِ ، وأنتِ تمرّينَ على الرصيف ، صعقني اليأسُ ، حتى أيقنتُ أنكِ الأكبرُ من الحب ، وأنني أقلُّ كثيراً من أن أحبكِ

أنا الذي أشعل قشّ عمرِه بنارِ الأفكار .
أنا انكسارُ العود
أو النحيبُ الذي يعصف الإعصارَ في روحِ الوتر .

أنا ريحٌ حزينة تهزُّ الغصنَ ، وتراكِ تسقطين في سلال الآخرين ..

أسطورة القلم المبارك

لم أنهزمْ . مازلتُ متقدَ الحواس : أهيمُ في حبكِ الناصع اللهفة ، الذي وُلِدَ مقتولاً ، وأنبهرُ طويلاً في ظهوركِ الغريب ، ظهورُك المباغتُ في حياتي ، كنيزكٍ يكتفي بأن يتوهجَ ، ليطلق العارَ ضدَّ القسوة ، وهو يشق طريقَه بين الكواكب ، فلا تصلني منه إلا ذرةٌ من الغبار، لأضيفها إلى ذخيرتي من الأوسمة ، التي لا يرى لمعانَها إلا من عاش في نسغِ الشرارة ، ولم يلسعه من الدفء إلا الشجنُ ، الذي ظلّ يبعثه أغنيةً بعد أغنية .

كم أود أن أخبرك أن العراقَ قد ذبل ، كما ذبلت الزهورُ المرسومةُ على قميصي ، الذي أهديتِه لي ، قبل أن تطيرَ بكِ العاصفةُ بأجنحتها اللامتناهية ، مثلَ ريشة .

لم أرتدِ ذلك القميصَ ، إلا وأنا أزورُ مثوى العصفور الذي دفناه معاً ، في الشارع الخلفي ، من الجامعة .

لم أعرفْ لِمَ بكيتُ بغزارة ، أَ على العصفورِ ، أم عليكِ ، أم على نجاتي من الموت في خنادق الحرب والأصدقاء ؟!

أتلعثمُ الآن ، حين أخبركِ أنني لم استبدلْ عاداتي ، فمازلت أسكرُ ، أدخن بشراهةٍ ، وأقرأ الكتبَ الضالة ، لكنَّ الأهمَّ هو أنني ما زلت أكتب بقلم البصمة ، نفسُ القلم الذي سرقتُه من حقيبتكِ ، وتركتكِ حائرةً ، في الامتحان ، وأنا غارقٌ في الضحك !

بنفس ذلك القلم المبارك أكتبُ لأخبركِ أن العاصفةَ قد دخلتْ من الباب ، وأن الأولادَ ، أولادَكِ وأولادي ، قد فرّوا من الشبّاك ، لأنهم شاخوا من الكراهية ، بعد أن تشبّعوا بالهروب من الأمل ، فيما أنتِ وأنا نكتب أشعاراً عن حب يضحكون منه : نرى إليهم ، دون أن نحرّك ساكناً ، يُشعلون أوراقَ قصائدنا ، فهي أكثرُ دفئا من شِعرِ هذا الزمان ..

مازلت أحمل القلمَ ، قلمكِ ، كتَمِيمةٍ ، وأتمنى حقا أن أضمّكِ بحنانٍ ، بلهفة الغريق الذي وجد كمشةً من الهواء في رئة الموت ، أن أمحوَ شمس المنفى المرسومةَ على قميص قصائدكِ ، وأن أقول لكِ : لا تعبئي ، فنحن الأَوْلى بالخسارة .
مَن سوانا يستعذبُ هذه المشقّةَ ، ويشتعلُ من شدة الأسى ، وسط هذا الكوكب الظالم والمظلم ؟!

الملاك في سوق الكتب

سؤالُكِ الخجولُ ، الذي لا أعرفُ كيف اخترقَ ضجّةَ السوق ، و وصلني حاملاً معه اليتمَ أو اللهفةَ ، عما إذا كنتُ عبد العظيم فنجان .. حقاً ، حفّزَ ـ بعدَ ذهابِكِ ـ شعوراً غامضاً ، كان غافياً في داخلي ، ثم استيقظ ، فجأة ، على رنّة الضوء في صوتكِ ، إذ لم أكن واثقاً ـ قبل ظهوركِ ـ أنني كتبتُ كلَّ هذا الشعر المجنون من أجلكِ ، أنتِ التي رأيتُ وجهَكِ في مَنام قديم ، أقدمَ من أن تولدي ، وها هو يتجلى أمامي ، بكل بهاء الأحلام ، كملاكٍ تكبَّدَ عناءَ نقل الرسالة ، إلى شاعرٍ مهمِل ، ثم اختفى مثلما جاء ، تاركاً إياي وحيداً ، حائراً ، في سوق الكتب ..

امرأة الخيال

كان جمالُها منيراً ، متفوقاً على القبح واليأس ، و كان لديها الأملُ الكافي لأن تبقى عاشقةً أبدية ، دونَ منازع ، وهو مما أكسبَها طاقةَ الوقوف أمامَ التقهقر بثقةِ صبية ، لا تريد من الحياة إلا الغرامياتِ المتأججةَ ، وأن تبقى مضيئةً بنور الحب ، متلألئةً في الليل أو في وضح النهار ، مهما كان ثمنُ ذلك ..

هذا مما جعلها أكثرَ من أن تُحبَّ ، أقدسَ من أن تُعبدَ ، وأرفعَ من أن تُخان ، لكنها كانت شاقّة ، شاقةً وشقيةً ، وفوق ذلك كانت عنيدةً كقلب الطفل . لم تقبل أبدا أن أُرشِدَها إلى الحب ، لأنها فضّلتْ أن تفعله غريزيا ، أن تؤديه بعفوية كما تتنفس ، وتضحك ، ساخرةً ، عندما أقول لها :" أحبكِ " ، لأنها ـ كما تزعم ـ ترى أنني أملك أكثر من أن أحبَّها ، وعندما أسألها عن ذلك تكشف عن صدرِها ، وتشير إلى تلك المنطقة المشعة ، حيث قلبها الذي يضخ رعشاتِه ، فأسمع الطبولَ ، مشاعل الغابات والرقص .
كانت تريدني أن أهربَ معها من العالم ، إلى عالم آخر لا وجود له إلا في السينما ، وفي القصص والروايات ، التي أتلفتْ نظرتَها إلى الواقع ، وكانت تلك طريقتَها الوحيدةَ ، المختارةَ ، التي تعتقد أنها ستجعلنا نعيش في أمانٍ ، تحت سقف الخيال ، على الشاشة ، أو بين دفتي كتاب .

امرأة المنام

كان الإغراءُ الذي تمارسُهُ قوياً ، إلى حد لا يمكن تفاديه إلا بقبوله ، وبتفريغ شحنته ، وهي تُشعلني ، بالكتابة ، بالسُكر ، أو بالبحث عن وجهها الملائكي ، الشيطاني والمُربك ، في مطاردة الممثلات ، متنقلاً من شاشة إلى شاشة ، أو في وجوه النساء من مجلة إلى أخرى ، وعندما أعود متعباً بحصتي من الخذلان ، كانت تظهر في منامي ، تهمس :" أحبكَ " ، وتهربُ من النافذة ، ما أن أهبُّ لإمساكِها ، وشعرُها الطويلُ يغطي ظهرَها العاريَ ، تاركةً وردة ، أجدها تحت وسادتي ، وطعنةً في القلب ، أشعر بها ، تحت قميصي الذي لا أجد خدشاً عليه ، دون أن أفهم ما هي القصةُ ، حتى خطر لي أن أكتبَ رسالة لها ، لابد أنها قرأتها ، إذ لم أجدها في الصباح على المنضدة ، لم أجد الوردة أيضا ، ولم تظهر في منامي مرة أخرى ، لكن قلبي لبث مطعونا ، وإلى الأبد .

لم ينتَهِ الأمرُ ، لأنني صرتُ أشعر أنها حاضرةٌ معي ، دائما ، حتى وأنا أجلس حائرا ، مثلَ عاشق مخذول ، في الغرفة ، فأراها بعيني الباطنية جالسةً في زاوية نفسي ، تنظرُ إلى تلك المنطقة المكتظة بالشجن ، التي أجلس فيها ، وتبتسم ..

عزيزي أنكيدو

كان لدي إحساسٌ بأنَّ الليلَ لن يبخل عليّ بضيفٍ عابرٍ ، ولم أتوقعْ أبدا أن تلك الليلةَ كانت مخصَّصةً لكَ ، أنتَ القادمُ من جذوري ، ومن صُحبة الحيوان والعشب .
كان ثمة صراخٌ في الخارج ، وكان هذا الصوتُ الآدميُّ المجروحُ يقرع جميعَ النوافذ ، ولا أحدَ يفتح ، لأنه كان عبارةً عن الخوف نفسه ، متجلياً في صرخة ، لم يطلقها أحد من قبل .
عندما تجرأتُ ، أخيرا ، وفتحتُ البابَ ، وجدتُ أنكَ نفسكَ الشخصُ الذي كنتُه في قديم الزمان ، بل أنكَ نفسي عندما وقعتُ في الشرك ، وفي براعة الإغواء ، فمارستُ الحب ، دون أن أعرف ما هو، مع امرأةٍ قالت إنها سومريةٌ ، لكنَّ البرقَ الذي انفجر من داخلي أضاء كلَّ شيء ، فتورطتُ باليقظة وبالمعرفة ، وتبعتُها ، تبعتُ المرأةَ التي قادتني من الروح إلى الجسد ، حتى وصلتُ إلى أريدو ، هذه المدينة اللغز ، هذه المدينة الغبارية التي تعصف بها الرياحُ من كل الجهات ، ولم أجد أحداً بانتظاري ، كما وعدتْني .
كان الجميعُ يهربُ من رؤيتي ، عندما طفتُ الشوارعَ عارياً ، بحثا عن براءتي ، التي اكتشفتُ أنها تبخرتْ ، شيئا فشيئا ، وأنا أقطع الطريقَ المؤديَ إلى جلجامشٍ لا وجودَ له ، إلا في قِصص غابرة ...

اسطورة المرأة الملاك

كانت ، كلما أحبّتْ رجلاً ، ترتقي إلى مرتبة من مراتب الملاك . لاحظ الجميع أن هناك ريشاً ناعماً وأبيض ينمو ، أن هناك أجنّةَ أجنحةٍ قد نمتْ على كتفيها ، وأنها أصبحتْ شبهَ مرئيةٍ ، عندما منحتْ قلبَها كلَّه إلى رجل ، ما أن غادرها حتى اشتعلتْ، فجأةً ، ثم اختفتْ الأجنحةُ ، تساقط الريشُ ، وموكبٌ هائلٌ من الأسى طار في الهواء ، غيرَ أنها لم تكفَّ ، أبداً ، عن الطيران في سماء الخيال!

لا أحدَ يعرف كم مرّة أحبّتْ ، وهل وصلتْ في تجربتِها الأخيرة إلى مرتبة الملاك ، غير أنها عندما ماتت ، بعد خمسين عاماً ، أصبحت غيرَ مرئيةٍ تماما ، لفرط الصفاء ، فحمل الناسُ إلى التابوت ، بدلاً عن جسدها ، كمشةً صغيرةً من الريش ، تركتْها تحت وسادتها ، كتذكار .

إلى عبد الرحيم الخصار

مثلَ نغمة تبحث عن قلب يعزفها بحرارة العارف ، أو يضخُّها في شريان العالم بهيئة ومضة ، كان الملاكُ في قلبي يبحث عمّن يحرره من كونه ملاكاً ، فينقله من القفص إلى الحرية ، أو من قوة الحكمة إلى براءة الهشاشة .

كان الطُّهرُ حجاباً ، يمنعني عن الغوص إلى الأعمق ، يحجزني عن ملامسة الأخطاء التي تُجوهر الروحَ . تلك الأخطاءُ التي ، بعد أن ترتكبَها ، تخرج من طورك المستهلّك ، الذي رسموه لكَ ، إلى طورك الحقيقي الآخر ، الذي لن يبينَ إلا إذا لاكَكَ الألم بأنيابه الحادة ، إلا إذا تُبتَ من التوبة التي تفتح البابَ لأختها التوبةِ ، أو إلا إذا دخلت محرقةَ المصير بأسمالِكَ ، والتهمتكَ الشكوكُ بنيرانها ، ثم خرجتَ صافياً وغامضاً ، كالجمرة .

كنتُ على وشك الاختناق من هواء الطاعة ، ولعل هذا هو الحافزُ الذي جعلني أنتقلُ من الفضول إلى الرعب ، لأنني لا أعرف كيف وثبتُ إلى خارج بدني ، وخرجتُ من متاهةِ أطوار الخلاص ، التي لا تسألُ ، ولا تفضي إلى الحل ، مثلَ دائرة تلتف حولَ نفسِها ، حتى وصلتُ إلى الحب ، عارياً من القوة والحول ، وهناك تنفستُ عميقاً ، لأول مرة .

هناك فقط ضاعفتُ ضَعفي ، سرقتُ من النار سرَّها الأخطرَ ، وحزتُ على النصر . عندئذ اكتشفتُ جوهرةَ الباطن ، وعرفتُ مَن أكونُ ، لكن ذلك لم يكن إلا بعد أن نظرتُ إلى الماضي وشيّعتُه ، دونَ أسفٍ ، كمن ينظر ، عبرَ المياه ، إلى سفينة مليئة بكل أنواع الثقوب ، وغارقة .

أسطورة سارق الكتب

كان يجول المكتبات . يتشمّم الكتبَ ، من كتابٍ إلى كتاب ، ثم يشتري منها ما يعتقد أنه متوافِقٌ مع حاستِه الباطنية . أحيانا يسرقُ كتاباً لا يملكُ ثمنَه ، أو يعجز أن يقاضيه بما يملك ، وقد شُوهد ، أكثرَ من مرة ، يمشي عارياً ، دون ثيابٍ ، منتشياً بما يحمل من الكتب .

كانوا يعتقدون أنه يأكلُها ، يأكل الكتبَ ، لكنه لا يفعل ذلك ، بل كان يُتلفها بطريقته الخاصة : يصفّها بطرق مبتكرة ، يصنعُ منها بيوتاً ، وينتظرُ أن يخرجَ أحدُ أبطالِها ، كي يشارِكَه سرَّه الصغيرَ ، ولمّا لم تحصل مثلُ هذه المعجزةِ صار يدفنها في العراء ، كلُّ كتابٍ على حدة ، ثم يواصل زيارتَها ، ليتأكد من أن أبطالَها ، واحداً منهم على الأقل ، قد عادت إليه الحياةُ ، بعد أن دفنه المؤلفُ ، دونَ رحمة ، بين السطور ، فالترابُ أكثرُ حناناً من عديمي المواهب .

كان يبكي ، بحرقةٍ ، عند الغروب ، إذا كانت هناك امرأةٌ جميلةٌ ، قد تركها المؤلفُ تخسرُ في الحب في كتابِه . وذاتَ مرة أقسمَ أن مراهقةً فاتنةً قد نادته : " أنقذني من الاختناق " ، وأخرجَها من التراب ، لكنها لم تحتملْ حنانَ عينيه ، ولا رقةَ قلبِه ، فهجرتْهُ ، لأن روحَه أجملُ من أن تطاقَ ، ولم يأبه بذلك ، فينبوعُ خيالِه أوسعُ من أن تغلقَه حصى صغيرةٌ ، كما أنه كان أسيرَ فكرتِه عن امرأةٍ بعينها ، لم يجدها في الواقع ، فلجأ إلى الخيال ، بحثا عنها ، حتى داهمه اليأسُ ،

فصار يضرم النارَ في الكتب ، حين لا يجدُها هناك ، وكان يجلس هادئاً أمام حرائقِه ، وهو يشاهد الأبطالَ ، الوزراءَ وقادةَ الجيوش ، يتحولون إلى دخان .

لم يكن سرُّه الصغيرُ معروفاً عندما اختفى ، فجأة ، فافتقدته المكتباتُ العامرةُ ، خرج أصحابُها يبحثون عنه ، والتقوا في الطريق بأصحاب مكتبات فقيرة ، وبآخرين كان يشتري أو يستعيرُ منهم الكتبَ ، ثم انضم إليهم قرّاءٌ كان يحدثهم عن كتب تؤدي إلى التهلكة ، عن كتب تخصّب الحياةَ والخيالَ ، وعن كتب أخرى ، لم تُكتب بعد ، من الممكن أن تعيدَ إلى الإنسان ذاكرتَه الأولى ، يومَ كان يعيش مع الحيوان والنبات بوئامٍ ، ويومَ كانت المرأةُ هي سيدةَ العالم .
كان الموكبُ ، الذي يتألف من هؤلاء ، يسيرُ محفوفاً بهواء الكتب ، وهو يدور في الأزقة ، في الحانات ، في المقاهي ، وفي العراء ، بحثاً عنه ، ولعدة أسابيع ، شهورٍ وسنواتٍ ، حتى أعجزهم البحثُ ، فتفرقوا في المدن والبلدان وفي الزمن ، وهم يبشّرون بالكِتابِ الأفضلِ الذي لم يُكتب بعدُ : كتابُه الذي بحث عنه طويلا ، والذي يحتوي على قصة امرأة تبحثُ عن عاشقِ الكتبِ ، الذي مات شهيدَها ، فيما هو يقرأ عنها في مخطوطٍ، في قبو مهجور ، لم يعرف أحدٌ أين يقعُ .

امرأة الفراشات

أنا امرأةٌ من خيالِ الخيالِ ، استعارني العشّاقُ من أجل الأغاني ، وكتبني الرواةُ في حكاياتهم . كلُّ واحد من هؤلاء شَعر أن شيئاً ما ينقصني ، فشحذ خيالَه وابتكره ، استجابةً لحاجته الداخلية .

هناك ممثلاتٌ كثيراتٌ اتخذن مني بطلةً ، فظهرتُ على شاشة أحلامهن بأطوار مختلفة ، حسب خضّةِ الجَّمالِ في أرواحهِنَّ ، كما أن الرسّامين رسموني على أقمشة لوحاتهم ، كلَّ مرة بشكل ، فكنتُ أتجول عاريةً طوراً ، أو محتشمةً في طور آخر ، بين ألوانهم .

المؤرخون ذكروني أيضا ، مرة ملكة ، مرة صعلوكة ضائعة ، ومرات إلهةً في المعابد ، أثناء ذلك تناوب على خلقي عددٌ لا يحصى من الشعراء ، أرسلوني قبلةً في الهواء ، فأنقذوني من المجازر ، ثم بكوا ـ من شدة غيابي ـ على الأطلال ، لأنهم كانوا يعتقدون أنني معجزةٌ تنقـذ الغرقى في البحر ، الجنودَ الجرحى في خنادق الحروب ، أو الخائبين في الحب والمجانين من شحة الغرام .

وها أني أمامَكَ ، الآن : ملكُكَ وبين يديكَ . لقد ألقى الخيالُ بقاربي على ساحلِ شِعركَ ، فاكتبني كما أنا . حاول أن تكشطَ عن سحنتي ، جلدي وروحي ، جميعَ الصفات التي لا أملكها ، إذ أنهم مسخوني إلى امرأة أخرى ، فلم أعد تلك الطفلةَ الحافيةَ ، التي تلعبُ مع العشب ، وتتشاجر مع العصافير ، لأنني صرتُ مسئولةً عن معجزاتٍ لم تحصل ، عن معاركَ لم أخضها ، وعن

شعوب تقتل نفسها نتيجةَ اليأسِ ، أو الفرحِ ، وتزعم أن ذلك بسببي .

افعلْ ذلك ، فقد اشتقتُ لفطرتي الأولى ، إلى براءتي البكر ، كامرأةٍ عادية جدا ، سوى أنني عندما أحزنُ ، عندما يهجرني الحبُّ ، أو عندما اختنق بالاشتياق ، أنضو عني ثياب آدميتي ، وأمشي على الماء أو فوق الجمر ، غيرَ آبهةٍ بشيء ، فيما العالمُ ، بقضه وقضيضِه ، يقذفني بالحجارةِ ، فأشعر بالحنو وبالشفقةِ عليه ، لأنه لا يرى حجارته وهي تتحول ، قبل أن تلامِسَني ، إلى فراشات ..